رواية

ثرثرة على ضفاف الحلم

كمال مناع عيسى



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **ثرثرة على ضفاف الحلم**

المـــــؤلف : كمال مناع عيسى

رقم الإيداع : ٤٧٩٨/ ٢٠١٩

الترقيم الدولي: ٠-١١٤-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٩



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

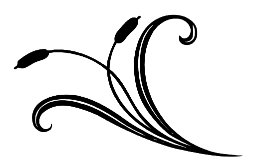
إهداء

إلى...

لجين ورهف ويوسف مناع عيسى

ورودي في عالم البنفسج

كمال مناع عيسى



(١)



أنا لن أسرق شيئا سواءً أكان محرمـا أو دونـه، هـي ذاتها لن تنزعج مني لو علمت ذلك ، فقط هـي اللحظـة الشعرية، هذا كل ما أريد ، أما النقل والاقتباس فسـوف أركله بنعلي !

أنا أبحث عن اللحظة الشـعرية ، عـن دن الخمـر في رأسـي ، كـي ينـدلق الحـرف سـخيا دون معوقـات أو حواجز .

أووووه الخمر أتراها تعرفه أم أنها تكتب عنه فقـط ، كي تجعله يسيل على ألسنة الحرف فيبدو معتادا وكأنهـا لا تدلق حرفـا إلا بعـد أن تـزيح كـل معوقـات الـزخم الروائي المعروفة به ...

الخمر.. يا إلهي ...لم أعرف مذاقا له في حياتي ..

سافرت كثيرا وكنت أراه مصفوفا بأصنافه وبالرغم من ذلك لم أجربه ، لم أقترب منه ، المرة الوحيدة التي اقتربت فيها منه وجها لوجه كانت عندما دخلت أحد المطاعم في روما لحظتها قلت للنادل بعد أن فوجئت بقناني الخمر المعتقة :

-أريد (بنانا)

فأعطاني موزة واحدة ووجدتني أطلب اثنتين :

-(دوي بنانا)

قلتها بالإيطالية وأخذت الموزتين ودفعت الثمن وغادرت مسرعا خشية تلك القناني المعتقة كل حسب السنة التي صنعت فيها.

جوفي ما يزال عذريا لم تهتك بكارته الخمور، تكفيه البيتزا وعلب الميرندا التي أمر بها كل ظهيرة لأتناول منها كل يوم صنفا وحتى البيبسي ومنافستها الكوكا كولا لم تدخل جوفي بعد لأن مسحوق كبد الخنزير يدخل في صلب خلطتيهما .

فهل اللحظة الشعرية سرقة أدبية ؟ هم حتى الآن لا يصنفونها كذلك لذا سأرتع في هذه الفسحة .

فقط طقس حرفها يستفزني كي أكتب وما عدا ذلك لا شيء ...

قد نلتقي يوما على أحد الهوامش ، لا أدري متى ؟ لكن قد

نلتقي...!

لكني سأنوع تجاربي ولن أكتفي بصنف واحد فقط فقد يتساقط حرفي كما يتساقط شعر البحارة عابري المحيطات والذين يأكلون أصنافا بعينها طيلة الرحلة وربما والمؤكد أن من بينها الخمور..

الآن تأخذني الحالة الشعرية ولحظتها ...

أجدني أتقرب بحرفي لنصي الذي كان قبلها مستحيلا أو ركيكا .

أجدني أواصل سيري في أمسية الحلم .

أبحر باتجاه مرافئ الحلم التي تبوح وتبيح ...

ربما كان حلمي البدائي النسخة المليون وبعض ونيف من الشهرة لكن دون ضجيج الفضائح والتي يفتعلها بعضهم من أجل المال والشهرة لكني سأسوح وأعود غانما دون فقدان اتجاه بوصلة الحلم البدائي .

توقفت قليلا لأرشف بعضا من القهوة العربية الباردة علني أستعيد بمذاقها المميز ترابط النسق الروائي لروايتي التي أوغلت فيها بحياء كنص قد يضيف شيئا إلى الرواية العربية أو زخما أو تستفز كاتبا مبتدءا كان أم غير ذلك كي يعبر إلى نصه الجواني ويبدع فأكون قد ساهمت في كتابة نص ما ولو باللحظة الشعرية ....

و كانت حزمة شمسية ربيعية تداعب المكان فآويت نفسي لها وكأني أراها وهي تعتق المروج الفسيحة هناك خلف الضاحية القريبة وكان يمكن أن أشتم رائحة البحر وأضع توقعا لحركة مراكب الصيادين عند مرفأ الشط القريب وإلى هذا الحد اكتفيت من القهوة العربية وعدت لحاسوبي أنقر عليه سطورا أخرى من الحدث الروائي الذي بدأته منذ اللحظة الشعرية لصاحبة النص الجميل والذي قرأت فيه جملا صريحة للحب والحياة لا أظنها قد غفلت عنها وهي تسطر حرفها ...و ما يفرق الحب عن الحياة فهما متوازيان لكن سقوط الحب في العصرنة جعله رديفا لأمور شتى وأذكر مرة أني كنت في أحد مدارج روما وقد انتهيت من رسم لوحة لصديقة العمر وكان الهدوء يشاغب المكان حتى أقبلت شلة من الشباب والفتيات فغادر الهدوء المدرج وكنت على وشك المغادرة بسبب الضجيج ولأني انتهيت من لوحتي لولا اقتراب إحدى الفتيات من موضعي وحين ألقيت عليها نظرة عابرة تسمرت نظراتي عليها- بل تلبستها تماما- أتأملها لهول المفاجأة ، لقد كانت هي..(!)لقد كانت الشبه لصديقتي بل لا فرق سوى غيرتي التي تحرضني بأن لا شبيهة لصديقتي من بين نساء الأرض ، الوجه المستدير ، العينان العسليتان ، صراخ التفاح في الوجنتين ، الشعر البني المتهدل ، القامة الطويلة ، وقفت مشدوها ، فلا أنا جمعت أشيائي ومضيت ولا

أنا تقدمت منها بعد أن حركت في داخلي حنينا حقيقيا لصديقتي سارة، وقفت أتأملها في معزل عن رفاقها وهي تهبط المدرج باتجاهي أو بالقرب مني لكن ما أن مرت لحظات حتى انحنت لتتقيأ قيأ قذرا من أثر الخمر ، لحظتها أنطفأ ذلك الضجيج الذي رافق ظهورها المفاجئ وخبت تلك الهالة التي قربتها مني وحينها انتبهت لشلتها فوجدتهم يحملون قناني (الفينو) شبانا وفتيات وهو أمر معتاد في مدينة كروما ، أما هي فقد جلست بالقرب مني حتى هدأت وكان في داخلي شعور يحرضني على أن ألقي عليها ولو نظرة وآخر على النقيض يؤكد لي أن لا شبيهة لصديقتي سارة فاخترت الأخير وبدأت جمع ما تبقى من أشيائي ، وأنا أغادر لاحظت بأنها قد حسمت أمرها معي من أجل شيء ما إذ وجدتها تناديني:

-(أميكو)كومستاي .

همست في هدوء حتى لا أستفز حالة السكر فيها :

-مساءك سعيداً.. كيف حالك أنت والشلة ..يبدو أنكم تقضون وقتا ممتعا .

-لكن ليس بيننا فنان مثلك ، أنا استجلبتني اللوحة من قمة المدرج هل كنت ترسمني .

-اللوحة لصديقتي وليست لك ...

- سي ...سي ..لو رسمتني فستكون اللوحة أجمل ...

و هنا ألقيت نظرة باتجاه القيء ولعلها لاحظت ذلك ولكنها امرأة وثملة أيضا وهنا قررت أن أحسم معها الأمر :

-هناك من ينتظرك وأنا لدي ما أفعله .

-(سي أميكو) أرسمني مقابل قنينة (فينو) واحدة فقط واحدة لا غير .

-أنا لا أرسم إلا صديقتي فقط .

و هنا استدرت لأغادر فسمعتها ترفع صوتا ودودا وحين استدرت أدت التحية العسكرية بما تبقى لها من صحو :

- (سنيوري)أعجبتني اللوحة ، أريدها .

-صديقتي تغار .. (اريفيديتشي)..!

لكنها أصرت على الإطالة :

- سكوزاتا سنيوري أريد توقيعك على قميصي .

و اقتربت أكثر واستدارت ولا أدري لماذا تحضرني حادثة قديمة حين تحضر التوقيعات وهي أنه كنا في جمع نتبادل توقيعاتنا بعد

تعارفنا فوجدت بعد تفرقنا توقيعا عنصريا موقعا باسم (جون آدم سترونغ)و رغم مرور وقت طويل على هذه الحادثة إلا أنها تحضر الآن ورغم أني لست عنصريا إلا أني كدت أن أضع توقيع (عمر المختار) في تلك اللحظات لو لا أني أحجمت عن ذلك في اللحظة الأخيرة ووقعت بالعربية(سلام من سارة) ومضيت بعيدا عن رائحة الخمر ومشاهد القيء .

أن تكتب فذاك يعني أن ترسم شخوصا.. أصدقاء وأعداء ، قد تكتفي بواحد أو اثنين وقد ترسم أكثر ربما كي تعطي بعدا واقعيا للصراع الأزلي بين الخير والشر الذي لا ينتهي في المطلق لكن معركة واحدة قد تؤجل حدة الصراع إلى حين ...

لكن الأروع أن تكون لك صديقة تعيش معها حالة الحب بين السطور تتجولان وتتبادلان الابتسامات والورود ، تعيش معها اللحظة العاشقة في مدينة من المدن حيث الحب يشهر نفسه وذاته كحالة معصرنة دون الحاجة إلى هوية تراثية ...

هؤلاء نعيش معهم المعاناة الإبداعية، يعيشون معنا النص الإبداعي وما بعده ككائنات لا يمكن التخلص منها ولو بالهرب إلى نص إبداعي آخر لأنهم يشكلون حالة التراكم لدى الكاتب وبعضهم يكون ويظل يشكل شخصيته.

اخترت أن أثرثر قليلا..

أن أغرق في كينونتي دون أن أكون جزءا من بقايا وجبة محرمة...

ربما هذا يذكرني بصديقتي- ودائما أذكرها-و هي فتاة جميلة اسمها سارة ما تزال صورتها عذراء بمخيلتي مذ إلتقيتها في إحدى المحاضرات بمركز دراسات جهاد الليبيين ، لقد صادقت بعضهن في الماضي أي مذ عرفت أن على الولد أن يصاحب بنتا لكن مع لورا الأمر جد مختلف فهي ترغمك على الإحساس بوجودها ولو لم تكن تراها أو تنظر إليها فمنذ جلوسها بجواري وأنا أحس بحالة ربيعية جوانية أدركت منذ البداية بأنها مصدرها رغم انشغالي بالمحاضرة والمحاضر حتى تلبسني حال وجودها فالتفت إليها أتأملها عل الحال يتغير باتجاه مسار آخر لكني وقعت على كنز عربي فينيقي \إغريقي روماني حقيقي ... وليست امرأة اعتيادية إنها لوحة من الجمال الخرافي ولقد بقيت أتأملها مأخوذا حتى انقطعت عما حولي صوتا وصورة حتى شاهدتها وهي تلقي نظرة عاجلة نحوي وتهمس بكلمات ما وحين انتبهت لم أسمع منها سوى (قلم)ثم امتدت أنامل رقيقة لتسحب مني القلم ثم عادت لتدون ملاحظاتها دون ما حرج وكأنها تعرفني منذ زمن وقد كان ذلك كجرس إنذار لي كي أعي أي صنف من النساء هي ولكني عدت أتعلق بالمحاضرة التي كان من

أهم محاورها سرقة الآثار الليبية إذ بـان الغـزو الإيطـالي ثـم عـدت للتحفة النادرة التي تجاورني أتأملها وقلبي يهمس (سبحان المعبود) وللمرة الثانية يتوقف قلمها (قلمي !) عن الكتابة ووجدتني أقدم لها حزمة كاملة من الأقلام كانت نائمة في حقيبة كتفي ، المهم أن تسود الودية بيننا لتكون جسرا من التواصل كي يكون لوجـودي بجوارهـا معنى .

بعد انتهاء المحاضرة أسمعتها صوتي الحقيقي وعرفتهـا بنفسـي دون تطفل وهو ما جعلها تقدم لي نفسها بأن أسمها (سارة)و تحـب أن يناديها الآخرين لورا وهي باحثـة تعـد (الـدكتوراه) في مراحلهـا النهائية فوجدتها فرصة لدعوتها لزيارة مكتبتي الخاصة لكن :

-أشكرك فقد استكملت المراجع وما أقـوم بـه الآن هـو مجـرد شغف بدراستي .

و رغم الخيبة :

-الشغف روعة ومتعة ..

-الدراسة البحثية تحد من الشغف وليست كالأدب .

-هل تكتبين أيا من نصوص الإبداع ولو لنفسك ؟

-أكتب خربشات لنفسي فقط فمرتبتي الأكاديمية لا تسمح بغيـر

ذلك .

و وجدتها فرصة :

-أريد الإطلاع عليها إن أمكن .

- هي خربشات كما ذكرت لك .

-قد تكون كنزا ثمينا كهذا الجمال .

و وجدتها تبتسم وتقول :

-أشكرك على المجاملة لكن باختصار أنا امـرأة لا أنظـر لنفسـي كثيرا في المرآة أو بمصطلح أدق لا أفعل ذلك كامرأة من أجل جذب الرجال .

-لا توجد امرأة لا تفعل ذلك حتى القبيحـات مـنهن فمـا بالـك بهذا الجمال الفينيقي ..

و لم تتركني أكمل :

-أنت تحاصرني سوف أمنحك فرصة قراءة بعضا من نصوصـي المتواضعة ولكن تذكر أنا أكتبها لنفسي فقط .

-لا شك بأنها تحمل حرفا جميلا كصاحبتها .

- سأرسلها لك بالبريد الإلكتروني وأكون ممتنة لك بذلك .

- حسنا إلى ذلك الحين إلى اللقاء

-هل مللتني ؟

-أبدا كيف أمل كل هذا الجمال العربي الخرافي .

و ضحكت ضحكة قصيرة عذبة :

- هه ..هه إلى اللقاء .

-هل مللتني ؟ ثم العنوان الإلكتروني .

- لم أمل ولكن كي لا أعود مهزومة ثم أكتب لي عنوانك هنا على هذه الورقة .

و قدمت لي ورقة وقلما(من أقلامي .!) فنسخت عنواني الالكتروني وقدمته لها ثم افترقنا في هدوء كما التقينا ....!

خارج المبنى كان آذان صلاة المغرب يملأ الأرجاء فأسرعت بسيارتي ألحق أداءه في مسجد (أبو مشماشة) ولأول مرة أجد نفسي أدعو الله من كل قلبي من أجل أن يحفظ كل هذا الجمال ثم اعتليت السيارة وطفت بالمدينة حتى البحر وكأني أفعل ذلك مع كائن مفترض أو أجهز سيناريو حدث ما أنا مقبل على تنفيذه مع شريك ما وبعد إشباع هذه الغاية عدت للبيت .

لم أصدق نفسي عندما وجدت خواطرها في بريدي بهذه السرعة مع كلمات جد رقيقة (كنت دائما أفكر في كيفية قضاء الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء لكنك جعلتها محمية تخصك ولكن لا تظن بي العجلة ولا تغتر)

بإمكانك أن تكوني عجولة فأنا أمقت اللامبالاة وأعتبرها نوعا من البلادة والآن دعيني أستكشف هذه المدينة النائمة تحت مياه البحر ...خواطرك / مزاجك السري:

(خبره عني غيمة ووردة ..

غيمة تظلله في قيض الحنين

و وردة تعطر دربه ،

هذا إن أتاه الحنين

وإن غاب عنه دعه لربه).

جالست خواطرها وأشعارها حتى منتصف الليل وكأنها طقوس فرح غامر موجبة الانجاز ولقد كانت طقوسا جميلة لذات الجمال ولن أزيد فهكذا تأثث المداخل الرائعة للحروف الجميلة .

و أظنني لم أكتفي فقد أيقظني في الثالثة صباحا نص جميل من نصوصها ألح علي...ثم أخذني النعاس في قصره الخشن !

كان يمكن أن أنظر بثأرية لهذا الموقف لأن نساء الصدفة اللـواتي كنت التقي بهن كن تائهات ويبحثن عن أدوار لهن في مواسم الحـب أما سارة فهي امرأة جد مختلفة لا تتحرج من البوح بأنها قد وجـدت لي مكانا شاغرا بـين صـلاتين في برنامجهـا اليـومي دون ضـجيج أو استهلاك معتاد .

و رغم ذلك وجدت نفسي لا أعرف ماذا أريد منها ؟

هل هو انبهار بجمالها ؟

أم هو ذلك الشـيء الزاهـي والمخبـوء خلـف سـتار الإعجـاب والمسمى الحب ؟

لكن يبقى الشرق شرقا فبكل حضـارته لا ينـام إلا بعـد هندسـة قصة حب !

كان يمكن أن أنظر بثأرية لهذا الموقف لأن نساء الصدفة اللـواتي كنت التقي بهن كن تائهات ويبحثن عن أدوار لهن في مواسم الحـب أما سارة فهي امرأة جد مختلفة لا تتحرج من البوح بأنها قد وجـدت لي مكانا شاغرا بـين صـلاتين في برنامجهـا اليـومي دون ضـجيج أو استهلاك معتاد .

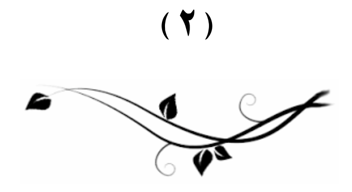
و رغم ذلك وجدت نفسي لا أعرف ماذا أريد منها ؟

هل هو انبهار بجمالها ؟

أم هو ذلك الشـيء الزاهـي والمخبـوء خلـف سـتار الإعجـاب والمسمى الحب ؟

لكن يبقى الشرق شرقا فبكل حضـارته لا ينـام إلا بعـد هندسـة قصة حب !

(٢)



أن تحب فذاك يعني أنك قد عتبت مرج البنفسج وأن تكون الساعة مكياجا ناعما للسيد الوقت ويتحول الزمن إلى كائن خرافي لا تستطيع تفسير هيجانه أو سكونه إلا حين يرضى السيد الحب أو بالأحرى يرضيك ولا يكون ذلك عن علاقة واعية بل إشارات سرية تحسها أكثر من أن تعقلها ، ومتى يرضى السيد الحب ؟

فجأة وبعد مشوار ثلاثة عقود ونصف من الزمن اكتشفت الحب لأول مرة !

مع من؟ مع امرأة ما هيئت لها ثوبا أنيقا يسبح في العطر أو كتبت لها قصيدة حب معنونة تخصها أو حتى مونولوجا صاخبا كان أم غير صاخب من الألوان في لوحة من اللوحات .

بل امرأة أقرأ قصائدها المعنونة لرجل مجهول تتوق إليه، لم ترفع الستارة عن اسمه أو حتى معالم ملامح تظهر تفاصيل وجهه .

تمنيت في لحظة من اللحظات أن أفر من هذا الحب كما لو كان نقطة ما هائجة في قلب بحر الظلمات .

بقيت أسبوعا كاملا أحاول فك رموز هذه الطقوس وانتماءاتها فلم أجد سوى السيد الحب ولأول مرة أخاف من فرضية هذا الاكتشاف فقد تكون فرضية موحشة وغامضة كالماضي فقد كن يمررن متسربلات أمامي كسيارات الأجرة يتوقفن ويحتوينك من مجرد إشارة فقط .

اليوم الأول اكتشاف ومسرة ، اليوم الثاني إعادة اكتشاف، اليوم الثالث حنين وتوق، اليوم الرابع تبدأ فوضى الأشواق والانتظار المربك ، اليوم الخامس يطرح أول الأسئلة ، اليوم السادس يأكل الوقت دقاته ..اليوم السابع وضعت منديلا على عيني ورسمتها وكأنها تجلس أمامي فقلت لم يعد هناك من سؤال إنه (الحب) من أول نظرة .

و طرحت سؤالي هل سيظل (بروتريها) معزولا رسمته في لحظة ما لامرأة في البعيد ؟

لكني عدت ولمت نفسي على ذلك إذ أنه تعد على خصوصية

امرأة كل ما هنالك أن الصدفة قد وضعتها في دربي وبـذات مسـاحة اللوم عدت لأقول لنفسي بأني لن أضيع مـن بـين يـدي هـذا الكنـز العربـي الفينيقـي الخـرافي وكـان أن سـادت هـذه المسـاحة ، لقـد انتصرت لغة الطبيعة ولهجة القلب .

و لأول مرة يصبح للنظارة السـوداء معنـى وللتجـوال المسـائي معناه الخاص به بالرغم من أن أشـياء كثيـرة بـدأت تـدق نواقيسـها محذرة ومرهبة من هذا الخيار لكني راهنت عـلى الحـب خاصـة إذا أيقظ في داخلي الحس الرقيق المرهف النابض الذي عشت محرومـا منه والذي دخل من بابه المشروع وهو كبوتقة ننصهر فيها ثم تـدعنا وشأننا للحياة .

و وجـدتني كـالمراهق أدعـو الله في صـلاتي أن يجمعنـي بهـا في القريب وكأنني صبي يواظب على الصلاة في المسجد ويترك التدخين كنصيحة من نصائح صديقته الصغيرة.

و بدت المبادرة تلوح من البعيد لكني خلخلتها إذ خطر ببـالي أن أضع اللوحة في الصفحة الخاصة بي وأجمع لها الإعجاب والتعليقات لكني خشيت أن تغضب، حقا خشيت غضبها لكني حورت الفكـرة بإرسالها لها عبر بريدها وكان ذلك كذلك

و جاء ردها حاسما أو هكذا ظننت :

أمطرت غيمتي وأنا قادم مع أحبابي

نسكن الريح وريد القرى

لأجل همسة حب

يحتار في إيصالها العاشقينا

لكن مازال ديني حبا

و ليس عشقا وإن تجبر

فما يزال يحنو على أحبابه

أملا في الصباحات

و في المساءات لينا

فكان ردي سريعا وأنا أفترش السحاب

(إما الصباح وإما المساء فأنا قنوع جدا) (لا تغتر إنه مونولوجك الداخلي فقط) و لم أيأس (لا أبرع من هذا الوصف ولا أدق كما رسمتك وأنا مغمض العينين)لكنها قطعت الاتصال !

لم تصبني الخيبة فدونت لها هذه الأبيات في بريدها وتركتها لقلبها وربها وغادرت البيت :

ولما كنت أكتب لعينيك

نصا عسليا باغتني الحلم

زهاء ومضة من يقين

ما بين شمس تشرق

وبقايا كومة من نعاس كسول

فقلت ليس أروع من نص عسلي

في مقام عيناك العسليتان .

كتلميذ هارب من المدرسة كنت أتجول في الشوارع وكأني أراها للمرة الأولى أو هي جولتي الأولى مهملا بذلك أشياء كثيرة بل ومواعيدا كثيرة وكان دمها العسلي ينبئني وهو يصرخ المهم أنها انتبهت ومع الوقت ستتناغم معي ورغم ذلك لست مستعجلا ، اليوم لوحة وقصيدة وغدا تشرق الشمس بلون العسل ، أجل لست مستعجلا .

ضغطت على دواسة البنزين جاعلا أفقر الشوارع ازدحاما نهجا لنزهتي حتى تداعت باتجاه وسط اطرابلس أمام باعة الورود فابتعت باقة وانطلقت من جديد وكأني في طريقي لموعد مع صاحبة الباقة ..في الواقع أنا أميل للرومانسية لكنني أُغلب الواقع إلا في الحب لذلك هذا المساء تركت ذلك الإحساس النقي للسيد الحب كي

يقودني حقا تركته كذلك ورغم ذلك لم تخرج الأشياء عن تقليدية المعقول فكدت أجن فهي المرة الأولى التي تعقلن فيها الأشياء ذاتها دون أن يزيحها أو يخرقها النقيض لذا قررت كأي عاشق محبط أن تكون الباقة لأول عاشقين في دربي أو لأول جميلة من الجميلات ولم أنتظر طويلا فأوقفت السيارة وترجلت منها لتكون من نصيبها رغم الصراخ في داخلي الذي يدفعني باتجاهها دفعا وكأني سأهديها للورا ذاتها وفي الواقع فقد جهزت سيناريو الحدث كاملا إذ سأقدمها لها على أنها لورا وإن سئلت درءا للإحراج فسأروي الحكاية الحقيقية فلا أروع من باقة ورد وكلمة صادقة لكن ما أن خطوت أول خطوة حتى داهمني إحساس بأنها هي لورا ليس إلا فاخترت الفرح دثارا لعودة الحدس الصادق وللقياها بعد استحالة وأسرعت إليها قبل أن تصعد سيارتها وتمضي ..

-يا دمك العسلي ....

قلتها محييا إياها بين الشك واليقين والباقة تتوسد ظهري إلى أن التفتت لتدلق عسل عينيها في هذا المساء العسلي ، ابتسمت وهي تقول :

- لوحة وقصيدة في يوم واحد وماذا أيضا ؟!
- اقبليها كي تنضم إلى اللوحة والقصيدة ، لكن أحقا قبلت

ذلك ؟.

و قدمت لها الباقة :

- من غير اللائق ألا نقبل الأشياء الجميلة ثم أني من شـجعتك ...

و قاطعتها منتشيا :

-أنا في حاجة للثرثرة معك ولكن اقبلي الباقة ... ثم ماذا تفعلـين هنا في زاوية الدهماني ؟

امتدت أناملها في رهبة تتلقف الباقة ثم سحبت وردة حمراء قانيـة واشتمت عبيرها :

-أحب الورود والورود الحمراء فهي كقصـائد الحـب لا تعـود خائبة ..و إن كان ولابد فذاك هو بيتنا .

و أشارت إلى بيت تظلل مدخله شجرة وارفة الظلال وكانت تلك أول مرة أتعرف فيها على بيتها .

كانت هناك إشارات غامضة وسـرية تبثهـا عيناهـا باتجـاه عينـي ودودة وحارة إلى حد الحريق قد تخفى على الآخرين لكنـي أدركتهـا ببهجة الحريق في عيني فأسعدتني لكن كومة الفرح المخبوءة كانـت عندما قالت :

-سر جمالي اكتشفه رجل واحد فقط لذا سأظل جميلة في عينيـه إلى الأبد وغير ذلك عبث ...أنا كامرأة يعجبني هذا اللون فقط... فمـاذا عنك أنت ؟

أصابني إعصار من البهجة وأنا أسمعها تقول ذلك :

-قلت لك رسمتك وأنا مغمض العينين ..

و حاولت الإبحار في عينيها لكنها تهربت من ذلـك وكأنهـا تظـن بأنها استعجلت أو أنها تريد الوصول إلى يقين معي ثـم أغلقـت بـاب السيارة في هدوء وجلست على طرف مقدمتها :

-كنت على موعد مع صـديقة لي لكنـي سأقضـيه معـك هنـا مـا رأيك؟

-أنا ضيفك وفي حيكم ..

-ألا تحب الثرثرة ..

قاطعتها

-معك أنت فقط وغير ذلك أفضل قضاءه في المرسم أو العزلـة التي تأكل كل شيء .

-لمن كانت الباقة ؟

-لك أنت ولكن بعد خيبتي في الوصول إليك جعلتها من نصيب أول عاشقين أو إحدى الجميلات لكن إن ظننت بأنها ليست لك فدعيني أمضي ...

و سادت لحظات من الصمت انتظرت فيها ردها لكنها لم تفعل فواصلت الثرثرة

-إنها مساحة الود الأولى بيننا فلا تفسديها وإذا كنت تخشين من طلابك فأنا أحافظ على مكانتك أيضا وعلى مكانتي كأديب ورسام ثم ومعزتك لقد وجدتك صدفة أو بدقة لقد قادتني إليك ملكاتي الحسية ثم السيد صاحب الصدف الجميلة.

أرسلت نظرة في الفضاء الفسيح وكأنها تلتقط شيئا ما ثم عادت لتقول في ثقة :

-ديباجة رائعة لكن أين اليقين ؟

-أنت متوترة، لقد صدقتك عندما قلت لك بأني قد وقعت على كنز عربي فينيقي يا ذات العينان العسليتان .

-حسنا ..حسنا

و تنهدت قليلا :

-لقد بدأت أنظر في المرآة كثيرا يا أيها الرجل ليس هذا فقط بل

أكثر من ذلك أتجول في المدينة مثلما تفعل أنت .

-حسنا لقد التقينا لورا وجمعنا القدر ..

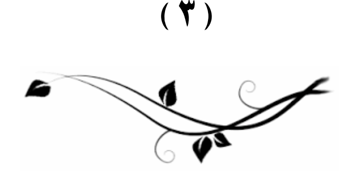
-لن أعاند القدر لقد التقينا .

و ابتسمت ابتسامة ودودة وحارة أزاحت عني كل ذلك التوتر

-لو فعلت هذا منذ البداية .. يا دمك العسلي

و ضحكت وضحكنا معا لأول مرة ...!

(٣)



كان يفصلني عدة مفردات عن الواقع كي أدون بأننا قد تبادلنا في تلك الأمسية أرقام الهواتف وبعض الأفكار قبل أن نفترق على أمل بلقاء تركناه مفتوحا على كل الاحتمالات وأولها الأشواق وللقدر الذي نطلق عليه الصدفة (أو صدفة مثل هذه) هكذا أطلقت عليه هي وغادر كل منا إلى سبيله.

ألقيت نظرة على ساعة الوقت فوجدتها منتصف النهار ، لحظتها توقفت عن الكتابة لأن هناك أشياء أخرى تنتظرني ولأن الشخصية الروائية المقبلة تحتاج إلى طقس خاص أكثر من الإبحار في محيط الذاكرة فأن تكتب شيء وأن تتذكر شيء آخر فطقس الكتابة غير طقس الذاكرة وأمر آخر فسارة لها طقسها المزاجي ككون ونموذج قائم بذاته غير أبطال الكتابة المعزولين

بطبيعة وواقع العمل الروائي المعتاد ، لقد أخذ مني التعب مداه لكنه تعب رائع كالبهجة بغرس نبتة في حديقة ما أو نثر زهرة في مرج زهور لذلك أحبه حقا أحبه ، راجعت ما كتبته كي أحافظ على ترابط النسق الروائي وكي أصحح بعض الأخطاء الإملائية التي قد تحدث أثناء محاولة ملاحقة زخم المفردات وقرب الحروف من بعضها البعض وحتى لا أكون ضحية المصححين أثناء عملية النشر قبل عرضها علي لكن الهاتف قد رن وذلك يعني أنه وقت المتصل بعد ما انتهيت مما كنت أقوم به وكانت (لورا) لتكون هدية اليوم بكامله:

-كيف أنت عسلية العينين ؟

-بخير حبيبي ...

و سحبت ورقة زرقاء من جيب قميصي كنت قد أعددتها منذ الصباح

-اسمعي هذه :

و هذي وردة من إزار الشوق

تلتحف ربيعا مشمسا

فقلت أهديك وردة

من ربيع مشمس

و الدرب يؤوب ضباب المرحلة

وأنا وأنت يا عسلية العينان

نتمشى والدرب يخوض

في إزار المرحلة

فهل بقي من شمس لربيع قادم ؟ .

-هل أعجبتك ؟ إنها مهداة لعينيك حبيبتي (لورا).

-رائعة ولكن أحب أن تسمع هذه :

عني لا أحب المراحل

و سدنتها الظرفية والوقتية

أحبك زهرة على ضفاف الربيع

تعنون يومي بأمنيات جميلة

كسنديانة الحلم الخرافي أنت

و كطقوس الحب في منتهاها

هكذا أنا شاعرة

أملأ كأسي وأعب من حرفي

سكرا حروفي بحبك

فأنت مدينتي وما من مدينة عداها.

أحسست ببهجة الامتلاء وأنا أسمع أبياتها الشاعرة .

-ما رأيك حبيبي .. رائعة أليس كذلك ؟

-كقطفة الياسمين وهو طقسك المعتاد .

و سمعتها تتنهد عبر الهاتف ثم :

-إلى متى عزيزي نغلب الثرثرة وقد انتصر الحب في قصة حياتنا الواقعية إلى متى ؟

و وجدتني أغوص في قصة دامت قوية بعمر خمس سنوات بكل عنفوان الحب

-يا دكتورة اصبري قليلا ..بعض الوقت ليس أكثر ..لقد مضى الصعب ولم يبقى سوى القليل اصبري .

-آه ثم آه من طقوس حبك آه .

-إني أحبك فلا تبتأسي

فلا خريف في العمر

ولا فقر ينتظر حرفي

فأحبيني أكثر فأكثر

يا امرأة أحبها وتحبني .

-لا أجمل منها كي تكون زاد صبري ..على ذكر الزاد أمي تـدعوك هذا المساء لفنجان من الشاي وقطعة مـن (الـبقلاوة)..لا تـرفض ...آآآ

-سأحاول أن أكون في الموعد في الوقت المناسب .

- وغلاوة عيناي تعال .

-عيناك بالدنيا .

-أنا في الانتظار مساءً حبيبي .

-إلى اللقاء عسلية العينان .

-إلى اللقاء حبيبي .

و وضعت الهاتف في موضعه وعطر أنفاسها يداعب شغاف قلبي (الله ما أروعك سارة)..

رن الهاتف من جديد فأخذني من تواصل الأفكار والمشاعر وكانت المفاجأة .. إنه الشيخ صابر(مرابط)العائلة فكانت فرحتي غامرة :

-السلام عليك شيخي .

-و عليك السلام

-كيف حالك .

و جاءني صوته حادا :

-أنا بخير من ربي لكن (دوارة)الشر لا يتركون الناس بخير .

و أخذني الإهتمام والفزع إذ طفت قصة قديمة عانيت منها الأهوال :

-خير إنشاء الله ؟

-لقد جددوا لك السحر القديم يا بني لذلك إشتري لك خاتما من المعدن ولخطيبتك خاتما من الذهب وضعاه في الكف اليمنى وداوم على تلاوة الأذكار .

و وجدتني أقول :

-الناس هم وليسوا غيرهم ؟

-هم وليسوا سواهم وقد اكتشفت ذلك صدفة عن طريق إحـدى الحالات التي أعالجها ...

-حسنا سآتيك في العزبة وآخذ البركة بعد العصر .

- أنا خارج المدينة خليها مرة ثانية، سلام وحفظـك الله ..سـلم على الوالدة .

- وجب.. سلام وبركة شيخي .

عندما أقفل الخط شعرت بكمين من التناقض ، كم من ذكريات الهول الذي عانيت منه وأنا في أول الشباب أي بعد ما أنهيت الثانويـة العامة إذ وقعت ضحية السـحر (بآلـة الـزمن)مـن إحـدى قريبـاتي وكانت تريد إبعادي عن إبنتها التي ربطتني معها علاقـة حـب لم تـدم أكثر من سنة وبعدها حـدثت الكارثـة في حيـاتي وكـم آخـر وهـو أن الخاتم سيجلب الخير لي فما أعطي لأحد إلا وتغيـرت حياتـه مائـة وثمانين درجة ..لكني غلبت الخوف من عـودة أعـراض السـحر في جسدي وحياتي لذا كان أول أمـر فكـرت فيـه هـو الصـلاة في وقتهـا والدعاء للخالق فقمت لصلاة الظهر ...

ثم دار حديث طويل بيني وبين أمي التـي طلبـت الاسـتعجال في توفير المطلوب لكني طلبت تأجيل ذلك إلى مـا بعـد صـلاة العصـر حيـث تشـرع المحـلات أبوابهـا ولأني لا أحـس بـأي عـارض مـن

الأعراض القديمة حتى الآن إلا أني قمت برقي الماء على طعام الغذاء وتناولت الطعام رغم فقداني الشهية لكني تناولت ما يكفي مع الماء المرقي وكان ذلك كذلك .

لم يمر علي وقت كئيب كما مر الوقت ما بين صلاتي الظهر والعصر إذ كنت قلقا متوترا ألقي بكل الاحتمالات متوجسا من عودة الماضي الرهيب الذي حرمت فيه لذة الحياة وعشت فيه خارج الزمان والمكان وأنا في ربيع العمر ، تركت فيه دراستي الجامعية ورفقة الأقران ، لقد كنت أتعذب طوال الوقت دون رحمة حتى تم علاجي من قبل الشيخ صابر (مرابط) العائلة وهو رجل تقي نذر حياته لله بكل عمل صالح حتى أنه لا يغادر عزبته إلا للضرورة القصوى وأظنه اليوم كذلك أي في رحلة من رحلاته العلاجية لذلك استعمل الهاتف وإلا فإنه كان سيزورنا في البيت أو سيستقبلنا في العزبة .

لم يسعدني شيء هذا النهار قدر سعادتي وأنا أسمع آذان صلاة العصر وهو يرتفع في الأنحاء فجمع في نفسي ذكريات جميلة عندما كنت أنتصر بالصلاة وتلاوة القرآن والأذكار على السحر ونهر عذابه المقيت فأحسست بتلك الرغبة الجامحة في استعادة تلك الطقوس الإيمانية التي كنت أمارسها حتى انتصرت على إرادة الشر ..

غادرت البيت متوضئا وصليت العصر في الجـامع القريـب مـن بيتنا ثم انطلقت أطلب بيت لورا حيث أوقفت السيارة بقربه وطلبتها بالهاتف أعلمها بحضوري وأنا أعتـب البـاب معهـا تـذكرت طلـب الشيخ صابر لكنني أجلته في نفسي إلى مـا بعـد الزيـارة ولقـاء الخالـة حلومة التي استقبلتني بوجه بشوش :

-كيف حالك يا ولدي ..زارتنا البركة .

-أنتم أهل البركة يا أم .

و هنا تدخلت لورا :

-أنا خارج الموضوع إذا !

-أنا أتبرك بماما التي خلفت كل هذا الكنز .

-إذا فاعلم بأن أختي التي تصغرني هي أجمل مني .

-قولي شيئا يا ماما ...

-يا داخل بين الظفـر واللحمـة وحبـة الفـول وقشـرتها ثـم هـي غيورة حتى من نفسها وهي كلمة حق يجب أن تقال .

-أرأيتي أهل البركة، هذه ماما التي أعرف .

و ضحكنا جميعا وأخذتنا أحاديث السمر وكادت أن تسير الأمور

في مسارها المعتاد لولا أن تلك الخيالات الشفافة قد بدأت تتراقص في المكان وصار منظر فنجان الشاي وقطع البقلاوة مقـززا فأدركـت بأني قد نسيت نفسي وزاد على ذلك أن شكل لورا وأمها وأختها سمر الصغرى التي التحقت بالجلسة مع الشاي والحلـو قـد بـات منفـرا مخيفا وكدت أصرخ وأتهاوى في مكـاني لـولا أني أسـرعت بحضـن المصحف الشريف الـذي تصـادف وجـوده في الـركن بقربـي وهنـا طلبت المغادرة عاجلا ولولا أني خبرت السحر لصـدقت مـا تنـاهى لسمعي من هلوسات بأصـواتهن منهـا (إيـاك أن تعـود إلى هنـا مـرة أخرى) و لم تخفت تلك الأصوات المنكـرة والأشـكال المرعبـة إلا حين غادرت عتبة الدار وحينها وجدت الفرصة سانحة لأخبر سـارة بأن توصلني لأقـرب محـال المعـادن الثمينـة ففعلـت في اسـتغراب شديد وأشكال القردة تعبث في السيارة حتى كان ذلك كذلك فابتعت لها خاتما من الذهب ولي خاتما من المعدن وعـدنا للسـيارة حيـث رقيت الخاتمين بالرقية الشرعية وألبستها الخاتم وكذلك فعلـت أنـا لتهدأ العاصفة كما بدأت ووجدتني أسترخي مسندا رأسي للكرسـي وأنا أذكر الله حمدا وشكرا:

-لم أفهم شيئا حبيبي !

-حبيبك كان مصابا بالجنون واليوم وصـلتني مكالمـة بتجديـد

السحر لكني تأخرت عن الحصن الواجب فحدث ما ترينه .

-فدتك روحي حبيبي لكنه دروشة ....أنا دكتوراه في آثار أسرتي شيشنق الأول والثاني والفراعنة .. لقد انتهى الاعتراف الواقعي بالسحر منذ قرون ...هذا أمر مخيف .

-لقد عشت تحت تأثير السحر سنتين كاملتين قبل أن يخف ويمحي .

-حبيبي هذا ضرب من الدروشة .

-الذين لم يعايشوا هذه الوقائع يصعب عليهم تصديق ذلك .

-حسنا أصدقك ...فرعون وموسى .. والهرطقة في القرون الوسطى ، يا إلهي هل وجد في هذا العصر من يبعث تلك الشرور .

-كنت قد تخطيت الثامنة عشر ممتلئًا بالرغبة في الحياة كل ما هنالك أني قد أحببت ابنتها وحين قاومت من أجل ذلك الحب المراهق جمعت علي شياطين الإنس والجن وسقتني من نهر العذاب (بآلة الزمن).

-(آلة الزمن) إنه هدف من أهداف العلم كي يفسروا به الظواهر ما وراء الطبيعة .

-و الآن أتقبلين رجلا مجنونا ؟

-أقاتل معك الجن والإنس ، إنها معركتي منذ الآن وحتى يندحر الشر والأشرار (إني أحبك) مجنونا أيضا .

-قد تتعبين .

-أحب التعب إنها معركتي .

- بقي الجزء الأهم وبعدها خذي وقتا للتفكير .

- قبلت دون تفكير .

-اسمعي أولا ثم قرري .

-حسنا ...حسنا حبيبي

-خدام هذا السحر لا يروقهم أي أمر يخالف الشريعة لذلك لن نتقابل منذ الآن يعني لا غزل ولا قصائد حب ..الأمر يعني من (لحيته إفتل له حبلاً) رغم علمك بأن نيتي تجاهك نقية وهناك أمر يجب أن تعلميه فبعد شفائي وأنا في الواحد والعشرين ربيعا صرت أسافر علني أستعيد ذاتي رغم قوة الإيمان التي كانت تملأني والتي تزلزل الصخر لكن دون جدوى لكنني كنت أصادق نماذج رسوماتي فأعيش معهم حالة الحب ودون الجميع كنت أنت خارج الإطار فقد أحببتك بعد أن هزم حبي لك عدمية الحس ، أحببتك وأنا مغمض العينين لذلك أظنهم قد جددوا السحر فهل تقبلينني زوجا وحتى

يتحقق هذا يجب أن نتعايش مع واقعنا الجديد ؟

-حسنا قد قبلتك زوجا في الدنيا والآخرة .

-حسنا أوصليني إلى بيتنا .

-هيا بنا حبيبي

-ما بك هل نسيتي لا غزل منذ الآن

-حسنا اللعنة عليهم.

وسارت بنا السيارة وفي رأسي بدأت أعد برامج الغد من أجل المواجهة المفروضة ...

وحالما عتبت بيتنا حتى رن الهاتف ورغم أنه رقم دون اسم إلا أني قمت بالرد عليه :

-السلام عليكم .

-سلام حبيبي فرح .

كان الصوت غريبا يحمل لكنة أجنبية ، مرت لحظات صمت وأنا أحاول تذكره أو أن يعرفني أو بدقة تعرفني هي بنفسها فقد كان الصوت لامرأة ثم وجدتني أخبط جبيني بكفي وكأنني أتذكر لسعة ما :

-بربارة أليس كذلك ؟!

-بربارة حبيبي فرح ... كيف حالك والأسرة ...خالتي (فطومة) و الجميع ؟

كان يمكن أن أقفل الخط لأن آخر مرة افترقنا فيها كانت خصاما شديدا انتهى بفراقنا وبربارة فتاة مالطية تقيم هنا في البلد هي وأسرتها وتعتبر من القلة الذين لم يرحلوا بعد سقوط الملكية جمعتنا علاقة صداقة لمدة قاربت العامين رغم أنها تكبرني بخمس سنوات لكنني حافظت على (صداقة)و أضعها بين قوسين نقية في حين كانت هي تكاد تجن كي أتخطى معها أيا من الخطوط الحمراء التي اتفقنا عليها ضمنيا، رسمت لها لوحات كثيرة أظنها ما تزال تحتفظ بها وتبكي على الأيام الخوالي حيث كنت أحفظ عشرتها كأي بنت من بنات البلد لكنها أضاعت كل شيء في لحظة طيش إذ كنا في زيارة لأبيها النزيل بمصحة إعادة تأهيل المعاقين في جنزور بسبب حادث سير وأظنها كانت تعاني من بقايا ليلة مخمورة مع أخيها الذي يتعاطى الخمر هو وأمه فقط لكن يبدو أنها قد تناولت معهم شيئا ورغم أني هرعت لغوثها إلا أنها كانت تريد أكثر من ذلك وعندما عنفتها ما كان منها إلا أن جمعت قبضتها وفردت إبهامها إلى أسفل وأصدرت ذاك الصوت (بززززز)فاعتبرتها إهانة فأوقفت السيارة

وطردتها ولم نلتقي منذ ذلك اليوم لذلك أجد نفسي مترددا في الرد لكني وجدت في الرد عليها شيئا من سعة الصدر خاصة عندما قدرت بأنها لا تستطيع الحياة على الطريقة الليبية ولا على الطريقة المالطية لذلك فهي كزهرة في مهب الريح :

-كيف أنت بربارة .

و جائني صوتها فرحا :

-أنت صديق حقيقي حبيبي فرح والله أنت رجل ..الله يلعن (بعلزبول) والبوخا.

و أحسست بنبرة اعتذار صادقة بالرغم من أنه ليس موضوعنا:

-الله يلعن الشيطان كما قلت ..لكن ما الذي ذكرك بي ؟

- كل خير حبيبي ، أتذكر اللوحات التي رسمتها لي لقد عرضتها للبيع وبقيمة مائة ألف يورو ، هل أنت سعيد بهذا ؟

-أنا لا تهمني النقود أنا يهمني تقدير الفن .

-أنت فنان حقيقي .

-أنا أفهمك لكن الدنيا من حولي تغيرت أنا الآن لست كما كنت أشياء كثيرة تغيرت .

-أنا لا أريد منك شيئا بل أنا من سيفيك دينا قديما .

-منذ متى وأنت في البلد ؟

-منذ الصباح .

و ساد بيننا الصمت قبل أن تخدشه هي :

-هل لديك لوحات أخرى؟ ولكن دعنا من ذلك أنا مشتاقة لرؤيتك .

-أنا عائد لتوي من بيت خطيبتي سارة ..

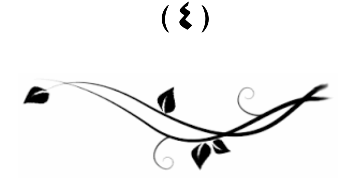
و قاطعتني :

-يا لذات الحظ السعيد ...!

- حسنا سنلتقي معا في المرسم هنا .

-إلى اللقاء حبيبي..

(٤)



دخلت غرفتي دون أن أمر بأمي فغيرت ثيابي إذ ارتديت ثيابا خفيفة وجلست للحاسوب كي أدون بعض الملاحظات التي تخص الرواية لكن ما أن فتحت ملفها حتى كانت هناك مفاجأة بانتظاري إذ وجدت الحروف تتساقط من ذاتها كتساقط أوراق الخريف حقا كانت تتساقط ، جلست مذهولا وأنا أرى جهدي ومزاجي الجواني يذهب هباء، يتساقط حرفا فحرفا ووجدتني أقف مصفقا للهول وخشية هول أعظم والذي أدركه جيدا كاسمي ولون عيناي إنه عدمية الإحساس وهو ما كان يطوق حياتي وسلوكي حتى تعرفت بسارة صحيح أنني قد خرجت من التجربة الماضية بتقوى الحس والمشاعر الصادقة لكن بعد صراع مرير وجهد قاس وكان التصفيق عاليا إلى درجة وجدت فيها أمي تهرع إلى

الغرفة متسائلة لكن ما أن إقتربت مني حتى أدركت السبب فإذا بها تقف مبسملة ومحوقلة لهول ما رأت لتقفل حاسوبي وأنا أقف مذهولا :

-فداك يا ولدي (بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيء في الأرض ولا في السماء)و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فداك يا ولدي .

و هنا غادرت هولي لأتعايش مع الواقع الجديد :

-ماما أذهبي إلى المرسم وأجمعي كل اللوحات وضعيها عند الجيران قبل فوات الأوان .

فغادرت مسرعة تاركة إياي أفكر في الخطوة القادمة والتي قدرتها بمهاتفة بربارة ولم أنتظر طويلا حتى جاءني الرد :

-أهلا حبيبي .

- أجلي الزيارة إلى وقت آخر لقد جدت أشياء أخرى وحين تحين الفرصة سأتصل بك .

-ما السبب هل خطيبتك تغار أنت تعرف بأني صديقة قديمة و...

- لا تأتي ....إلى اللقاء .

و أقفلت الخط والذهول يشتت أفكاري لكني جلست حتى انتشيت من جديد وأتجهت إلى المرسم لأجده خاليا إلا من لوحة لسارة لم تكتمل ولهذا السبب أبقتها أمي وحتى هذه لم تسلم إذ اشتعلت فيها النيران رغم إسراعي في محاولة إطفائها فلم تسلم منها سوى عيناها الجميلتان ووقفت أتوسط المرسم الخالي إلا من عيناها العسليتان فأخذني الضحك الهستيري ولم أتوقف عن ذلك إلا حين سماع تلاوة للقرآن من هاتف أمي والتي قربته من أذني حتى هدأت ثم غادرنا المرسم فاتصلت بالشيخ صابر :

-أغثني يا شيخي أغثني

و جاءني صوته واثقا :

-الله المغيث يا ولدي لقد حدث ما توقعته ، الليلة سأكون عندكم بعد صلاة العشاء ....سأصليه في الطريق إنشاء الله ، أستودعك الله.

و أقفل الخط ...

جلست أرضا أتلو أذكار المساء حتى انتهيت منها ثم قربت مني أمي المصحف الشريف فتلوت منه ما تيسر حتى استعدت سكينتي بينما كنت أسمع هلوساتهم ووسوساتهم تحاول إحباط معنوياتي مثل

(إياه عندي منه) لكني تجاوزتها بإيماني وخبرتي القديمة بينما كانت أمي تجمع الصور من على الجدران استعدادا لمجيء الشيخ صابر...

و هنا حدث ما لم يكن في الحسبان إذ سمعت أصواتهم تقول لي (سنخرج الآن حتى يغادر الشيخ صابر) فأدركت بأن الشيخ لا يستطيع فعل شيء تجاههم وأن السحر جديد ومطور وليس كالسابق وأحسست بشيء ينزع نفسه مني ثم (سنعود) فعرفت بأنهم قد غادروا جسدي والمكان برمته ...

–لقد غادروا يا أم اللعنة عليهم ..

–الحمد لله يا ولدي ...

–لكنهم سيعودون حالما يغادر الشيخ صابر لتبدأ المعاناة .

– لقد هاتفت أخوك قاسم وسيأتي بزوجته والعيال ليبيتوا هنا في البيت .

– حسنا فعلت ماما .

خبرتي تجعلني أعتقد بأنه نوع آخر من السحر وليس (آلة الزمن) ففي هذا النوع يغادر الخدام المريض في وجود المعالج أو قرب مجيئه ويعودون بعد ذلك لذلك أشعر بالغضب والحنق عليهم فلا أستطيع ملازمة الشيخ صابر طوال الوقت وهم بذلك سيعبثون في

جسدي وأشيائي في غيابه أو حال مغادرته (اللعنة).

و حدث ما توقعته بعد حضور الشيخ إذ وجد كل شيء على طبيعته بعد تلاوة الرقية الشرعية للمس والسحر والعين وتوصل كلانا إلى نفس التحليل وأحسست بأنها المرة الأولى التي أرى فيها شيخى حائرا يستنجد بالله وبالدعاء للتيسير فقد كانت اللعبة الشيطانية متقنة هذه المرة وهنا تدخل أخي قاسم الذي جاء بصحبة أسرته الصغيرة :

-خذه معك للعزبة أو بت عندنا الليلة .

لكني قلت لهم :

-من جهتي أفضل المواجهة والحسم ثم هناك مدخل لخرق أعمال هؤلاء وهو عدم اللامبالاة تجاههم لذلك سأبيت وحدي في غرفتي كالمعتاد .

-أدخل يا بني لتنام ودعنا نتدارس الموقف في هدوء ...لن أرحل حتى تنام .

و لم أجد بداً من ذلك فآويت لفراشي وتلوت أذكار النوم وحضرني في تلك الوهلة القصيرة قطعة الكعك التي أطعمتني إياها تلك العجوز (شميسة)متعذرة بأشياء مثل أنها لا رغبة لها في تناولها

وهي تمازحني أو تتظاهر بذلك والتي كان شكلها مريبا وغامضا وهو ما شكل أداة السحر القديم فأحسست بأن نوعا من التوارد قد حدث مع خدام السحر ثم نمت ..

و بينما كنت أسير وأخي قاسم قبالة مسرب ترابي تحده من الجانبين نباتات التين الشوكي هاجمتنا كلاب شرسة فركض كلينا كي نعبر المسرب ....أفلت أخي بينما وقعت أنا بين أنيابها الشرسة فلم أجد سوى الصراخ فصرخت لأجد نفسي في فراشي والعرق يبلل جسدي وثيابي فأدركت بأني كنت ضحية كابوس وحين أفقت تماما نفث ثلاثا في الناحية اليسرى واستعذت بالله من الشيطان الرجيم فقد كنت تحت تأثير كابوس من كوابيسهم فأدركت بأن الشيخ قد غادر البيت .

و وسط سكون الليل رن هاتفي ودون أن أقرأ لوحته المضاءة أدركت بأنها لورا :

-كيف أنت حبيبتي ؟

-أنت في مشكلة حبيبي أليس كذلك ؟

-لو لم تقولي ذلك لبحث عن شريكة غيرك .

-و تهون العشرة وينتحر الحب والأشواق ...هه...ههههه

-الله يلعن بعلزبول وأعوانه على حد قول بربارة .

-من بربارة هذه ؟

-فتاة مالطية كنت قد حكيت لك عنها ولكن أتغارين منها ؟

-أغار من نسمة الجنوب ومن نفسي حبيبي.

-أحبك برغم قيودهم الخبيثة ...قبل لحظات أيقظوني بكابوس خبيث من كوابيسهم .

-قلبي كان معك ثم إذا كنت تريد مني الحضور فسأفعل ...

-لا..لا.... فهذا لا يليق بدكتورة مثلك .

و قاطعتني:

-هم لم يتركوا لنا هذا يليق أو هذا لا يليق ألم يكفهم أن يحيدوا عقلية ناضجة مثلك عن المشاركة في هموم المجتمع والناس كعقليتك أنت !

-دعينا من هذا كله إني أحبك لحسك العاشق فأمي ومن في البيت لم يستيقظوا لصراخي كما فعلت أنت .

-لا ...لا.... أمك وراء الباب الآن .

و هنا فتح الباب وأطل وجه أمي باسما يخفي جزعه .

-لقد صدقت يا سارة إنها أمي .

-الآن أنت بين أياد أمينة تحياتي وحبي إلى الأبد حبيبي فرح .

-تحياتي وحبي إلى اللقاء .

و وضعت الهاتف وحييت أمي التي تقدمت وحادت فراشي :

-أعتذر عن الإزعاج ماما .

-الإزعاج سيصبح الفرد الغير مرغوب فيه في هذه الأسرة يا ولدي .

-هكذا في الأوضاع غير الطبيعية تنشأ ممارسات غير طبيعية أيضا والذين قاموا بهذا الفعل الشرير لم يفكروا سوى في الأذى .

-الصبر يا ولدي الصبر .

و ألقت بحزمة مشاعر ودودة من عينيها زادتني قوة في مواجهة عصبة الشر .

و كانت الساعة تقترب من وقت الفجر فتيقنت من أن الكابوس من صنعهم فغادرت لأغتسل وأستعد للصلاة في المسجد القريب ولحظة كنت على وشك المغادرة طلبت مني أمي مرافقة قاسم لكني رفضت وقلت لها (معاناتي دهر وليس شهر ..)

غادرت البيت متجها للمسجد فأديت صلاة الفجر وجلست أنتظر صلاة الصبح جماعة وخلال ذلك كانوا هم يعرضون علي أعمالي الفنية لكني ركبت اللامبالاة وزدت من وثيرة الأدعية وأذكار التحصين النبوية ثم بدأوا من مسار آخر وهي قصائد الحب والقصص والروايات إذ كانوا يرددون بعض المقاطع المعزولة والتي وردت على لسان شخوص الأعمال الأدبية لكني لم آبه حتى حان وقت الصلاة عندها فقط أصابهم الصمم فخرسوا ووجدت في تلاوة الإمام ملاذا آمنا منهم لكني كنت متيقنا من أنهم ينتظرونني أمام المسجد وهذا ما كان لكنهم وجدوني أقوى بعد الصلاة ورغم أن المعاناة قد زادت لكنهم واصلوا كطرف مهزوم حتى وصلت البيت لأجد أمي نائمة على كرسي بجوار فراشي فلم أشأ إيقاظها واحتواني الفراش من جديد بعد أن تلوت أذكار النوم ونمت حتى ساعات الصباح الأولى ...

استيقظت على طقس غامض مشوش الذهن وأحس بإرهاق بدني شديد وكأني كنت أضرب بالعصا طوال الوقت وهو من آثار العالم السفلي لذلك أدركت بأنهم ما يزالون سادرين في غيهم لكني اخترت اللامبالاة وغادرت فراشي لأجد الجميع متحلقون حول طعام الفطور وكان من بينهم تامر وهازار الصغيرين واللذان تركا الفطور راكضين باتجاه حضني فحضنتهما بحب وقبلتهما ثم أخذاني نحو

حلقة الطعام فجلست مع الجمع لكني سرعان ما غادرتهم ومعي فنجان القهوة إذ كان منظر الطعام مقززا وكذلك وجوه الجلوس منفرة مزعجة بل وصدرت أصوات مهلوسة غطت على أصواتهم من مثل (والله لن تذوق معنا لقمة واحدة فأنت مقرف ومنبوذ)و رغم ذلك رقيت فنجان القهوة ورشفته عن آخره .

ولولا أني اعتدت على إهمال وجبة الفطور لما تركت الجلسة لأني أدرك أن هدفهم هو عزلي عن محيطي فدخلت غرفة الحاسوب أتأمل في حسرة حصيلة الخسارة بالأمس وقلت في نفسي (العلم في الرأس وليس في الكراس) كما قال (الإمام الغزالي) وأوحى إلي هذا القول باستخدام الورق بدل الحاسوب وكأنهم كانوا يقرأون أفكاري إذ إشتعلت النيران في مجموعة أوراق كانت مبعثرة على سطح طاولة المكتب فلم أجد سوى الصراخ ب(لا) أمام هذه الجملة الاستعراضية الشريرة والقاسية وفي لحظات تحول ذلك الجمع بجواري ليلحقوا ببقايا الرماد ..

-هيا لن تبقى هنا ولو لحظة ستذهب معي للبيت ....هيا... وإلا للعزبة حيث الشيخ .

قالها قاسم وهو يصيح مغضبا :

-في الماضي دراستي والآن فني وأدبي .

قلتها والحسرة تلفني بغموض الذهول

-هاتوا غطاء رأسي سأذهب وأفهمها أن للشر نهاية ...

و هنا إعترضها أخي قاسم :

-لا يا أم لا تعرضي نفسك لأذاها ثم لو طلبت منها أن تقسم على المصحف لفعلت فهؤلاء تأخذهم العزة بالإثم ونحن لدينا تجربة سابقة معها فليس أمامنا سوى الصبر والله ثم الشيخ صابر .

و حسمت أنا الأمر :

-إنها معاناتي التي اعتدتها عذرا للإزعاج فقد آلمني أن أقف مكتوف الأيدي وهم يعبثون بحياتي وأشيائي ، لن أصرخ في المرة القادمة .

و لحظتها انتبهت لوجود الصغيرين اللذين كانا يرسلان نظرات حسرة صامتة تجاهي فقررت أن أرفع من معنوياتهما :

-هيا هاتا قناني الماء لأرقيها ثم نرش زوايا البيت والغرف بها كي نحرقهم بها ..هيا

و صمت قليلا ثم :

-ماذا نفعل بهم ؟.

وكان هازار الأسرع ردا:

-نحرقهم بالماء المرقي بالقرآن ...

-هيا ..

و أنطلق الصغيران وكأنهما قد وجدا حلا لما يدور وفي داخلي هدف آخر وهو إعدادهم لمواجهة مفترضة وهي لا تحدث إلا مرة واحدة في العمر وليكن عمري وليس عمريهما الطازجين الطريين فجعلنا نرش أرجاء البيت بالماء المرقي معا حتى آذان الظهر حيث التحقت بالمسجد كي أؤدي الصلاة في وقتها ففعلت رغم وسوساتهم وبعد الصلاة حملنا جنازة رجل فقير أنا وبعض الشباب والمسنين من رواد المسجد الدائمين وبعد صلاة الجنازة عليه واريناه مثواه الأخير بالمقبرة وبقيت مع بعض الشباب نسوي له قبره ومرت لحظات نقاء في نفسي إذ تساءلت عن نفسية اللواتي صنعن لي السحر والموت يحصد الناس كهولا وشبابا ، حالما انتهينا سرنا معا كي نغادر المقبرة من أجل واجب العزاء لكن وأنا أسير تعثرت في حفرة قدرت بأنها قبر حديث حفر كي يكون معدا للدفن لكن الذي لم أحسبه أنا والشباب هو صوت ديك ربما يكون قد صاح من أثر مرور قدمي عليه أي لحظة دست عليه وهنا تنبه الجميع وصاح أحد الشباب (سحر ...شعوذة)و رفعنا الحجارة وأوراق الكرتون من

عليه لنجد ديكا أبيضا قد ربط في قدميه زجاجة (سحر هيا نخرجه) صاح بها ذات الشاب وحين تفحصت القنينة ذات الغطاء الفليني وقعت المفاجأة بالنسبة لي فقد كانت صورتي تسبح في خليط من اللبن الذي تذره الأبقار بعد الولادة وسائل أصفر اللون أظنه بولا وهنا صحت بأعلى صوتي (قاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) و هللت لله فرحا فقد أدركت بأني قد وقعت على أدوات السحر المعد لي:

-يبدو أنه حديث فالديك مازال حيا يا أستاذ أنت محظوظ جدا .

-سوف أحمله وأذهب به للشيخ (صابر)فهو يعرف كيف يتعامل معه .

و سار جمعنا الصغير باتجاه العزبة وهي تبعد مسافة الربع ساعة مشيا عن مكان المقبرة ولكن ما أن سرنا قرابة الخمس دقائق حتى توقفت سيارة تقودها فتاة حالما تمحصت بها حتى عرفت فيها ياسمين بنت تلك المرأة صاحبة السحر وهي إحدى قريباتي وجدتني في حيرة أمام الشباب :

-أود محادثتك على إنفراد وقبل ذلك الحمد لله على سلامتك .

و قلت في نفسي(يجب ألا ننسى قيمنا ومثلنا وتربيتنا) :

-أستأذنكم يا شباب وأشكركم ثم عشائكم عندي الليلة أنتم والشيخ صابر .

و ركبت معها السيارة وانطلقنا في هدوء :

-لقد سبقتني لهذا فقد كنت في طريقي إليه بعدما سمعت أمي وخالتي تتهامسان في الموضوع ثم أنا من أوصل خالتي للمقبرة بحجة أخذ البركة والفاتحة من الولي الصالح المدفون بالمقبرة ..و الديك كان وفاء لنذر قديم يخص حارس المقبرة كما أظن أو هو كذلك كما زعمت وغير ذلك كان سرا علي..

-أتعلمين بأني أعاني منذ الأمس عدا عن تقييد يدي عن العمل والآثار النفسية للمحيطين حولي .

-إغفر لهما فحتى الرسول(صلى الله عليه وسلم) قد سحر لكنه صبر وغفر ودعا ودعا

-هذا أمر سابق لأوانه .

-بحق رفقة الطفولة السعيدة أغفر لهما فهما جاهلتان أميتان لا تعرفان الخمسة من الطمسة ...

و اخترت الصمت ستارا عن الرد فواصلت :

-و حياة سمر الحب الطاهر البريء خاصة إذا علمت بأنها قد عادت ذات ظهيرة حزينة وأغلقت الغرفة وأسندت ظهرها للباب دون أن تراني وهي تبكي وتهمس (سامحني يا فرح لقد خنتك غصبا عني)بعد أن يئست من حبك ومن أمي .

و ترك ذلك ألما شديدا في نفسي :

-و من يضمن عدم تكرار هذا العمل الشيطاني ثم أتعلمين أني لا أتناول شيئا خارج البيت عدا عند سارة أو عند ما تبقى من الأصدقاء حتى أوصف بأني من أهل الوسواس

-معاناتك مروعة لكن كما قلت لك حتى الرسول ﷺ سحره اليهود في الحادثة المعروفة لكنه صبر وغفر ودعا ...

-قد وصلنا العزبة توقفي هنا .

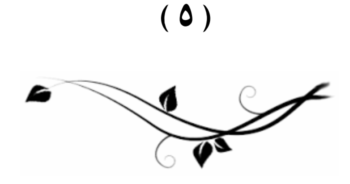
-فكر في الموضوع وحياة الغاليين عندك .

-حسنا سأفعل وحياتك .

وتقدمت من بوابة العزبة وقد خلعت نعلي رافعا قميصي عن ساقي حاملا أدوات السحر وشره وفي قلبي الحمد لله الذي فرج كربي خلال يومين فقط .

في المساء دعوت شلة الشباب كما وعدتهم وتناولنا العشاء معا عدا أن الشيخ صابر قد تغيب في رحلة علاجية خارج المدينة بعد أن تعامل مع أدوات السحر وأبطل مفعوله وكأنه لغم أرضي من بقايا الحرب العالمية الثانية كما وصفه أحد الشباب مازحا وأكدت عليه أنا بأنه برميل بارود من القرون الوسطى ....

(٥)



كان أول هم لي في تلك الليلة هـو البشـارة للـورا بـأن العمل الشيطاني قد تم إبطاله فكانـت مهاتفـة تطمـين لها:

-أهلا حبيبي .

- كنت لي غيمة ماطرة فأحببتها

وكنت لي شمسا

أحببتها فأشرقت بدفئها

فصرت كونا من كائنات الحب المؤدلجة

صراحة أشرقت في الكون عيناك العسليتان

يا امرأة مر زمن لم أكتب لعيناك شعرا

فقلت هذه بداية وعدت والعود أحمد !

-شعر ..! هذا ما توقعته ، هـذا يعنـي روح المقاومـة ...أحبـك حبيبي .

-لقد أنزاح الكرب حبيبتي وعدت لأغني لعيناك العسليتان .

-هذا رائع حدثني قلبي بهذا كما أسمعك الآن ....هيـا أسـمعني موسيقاه الخالدة .

-ليس أجمل من (أحبك لورا).

-أريده شعرا أم أنهم قد أعاقوا ملكة الشعر فيك .

- يسوح البنفسج ونظل واقفين

والعاصفة تزأر يا جميلة العينين

و في الحائط البعيد

كانت العصافير تغني لعيناك العسليتان

و أنا أكتب لهما القصائد البنفسجية

لا حزن بعد الآن

وقد لملمت المدينة طوق جراحها

كي تنام الراحة الأبدية .

الله ما أجملك

يا امرأة تلتحف الريح والغمام

وأنا أبكر في صلاتي

من أجل عيناك

حيث لا خراب

و حيث ينام البنفسج مسترخيا

يقرأ الموال العسلي

لامرأة حبها لا ينام .

-الآن تسكن الطمأنينة قلبي وليس أقل من (أحبك فرح) بموالها العسلي المعتق .

-حقا لورا فقد كنت أخشى تكرار الماضي .

-هل صرنا نقول (وحنينه أبدا لأول منزل)هيه حبيبي أنا أغار حتى من نفسي .

-أنا أفكر معك بصوت عال وخذي هذه الهمسة :

كدرب المدرسة كان دربي

و كذا انفعال الشعر

وكذا عيناك العسليتان

يا امرأة من عقيق وبيلسان .

-هكذا أهواك قويا قادرا حبيبي فرح .

و تظلين أنت ..أنت

مهما تأجل الصبح

فعيناك العسليتان أفقي

الذي لا يغتابه شفق ولا تأويل

وستظلين حلم العشاق من جيل لجيل .

-زدني فقد خشيت على عيناي من مقبرة الشعر فيك .

-هذي دروبي في الثرثرة وتمضية الوقت

لكن تظل شريعة الحب تصنع العجب

فما خلد العاشقين بغير درب الحب .

و ما عاش الحب للتعب

فقد استحكمت حلقاتها وفرجت

وكنت أظنها لا تفرج .

-هه ...ههههه

-لورا تضحك لي هذا كنزي وكنز مشاعري .

و بقينا نتسامر ونؤوي الأشواق لمخدع الحلم الذي كاد أن يـوأد على يد أولياء الشر والشيطان .

هو ذا ياسمين الغياب

يعرش أشواقه برغم أني

أكتب لك طقوس المكان

فما أزال أفتح نافذتي للشمس كل صباح

و أعد فنجان قهوتي كالمعتاد

و أقرأ الصحف وأتمشى

في ذات الدرب الذي مشيناه ..

فهل زارك الحنين

يا امرأة من عقيق وبيلسان ؟

فما يزال مقعد الحديقة

ورصيف القدوم يحمل زهرته البيضاء

فمن أين له كل هذه الأشواق

مرفأ الحنين الذي نادى يا صديقتي ؟

انتهت رسالة الحب القصيرة

من طقس (أحبك) عسلية العينان .

في الصباح أفقت باكرا وهاتفت صديقا قديما يعمل بإحدى محطات (إف إم)و طلبت منه أن يذيع هذه القصيدة المهداة لعيني لورا التي أعلم بأنها ستكون في سيارتها في مثل هذا الوقت صباحا متجهة للجامعة فوافق في سرور وتركتها مفاجأة سارة توقظ فيها المزاج العسلي المعتاد .

انتظرت القصيدة حتى أذيعت كي أسمع رنين هاتفي :

-مفاجأة حبيبي حقا لقد كانت مفاجأة لا يقوم بها إلا عاشق قد نهض من بين ركام الشر ومواجهة صنائع الشيطان .

-أنا مجنون بحبك ، كل يوم لك قصيدة مثلها وأفكر في المرة القادمة أن أستعير اللوحة الإعلانية التي أمام بيتكم واللوحة التي

أمام مدخل الكلية لولا أنهما وضعتا للسلع لكن كما تعلمين أنت لن تساويك سلعة في الأرض حبيبتي وما عاش الحب للتسليع .

-لا بل تكفيني قصيدة من عيناك لعيني ...أحب جنونك يا أيها الرجل .

-أرادوها مذبحة للحرف فقلت سأجعل المدينة كلها تغني لعيناك العسليتان حقا سأجعلها كذلك خاصة وأني قد إتفقت مع مذيع البرنامج على ذلك ، هو يريد ملأ مساحة الوقت المذاع وأنا أغني لحبيبتي وسيغلب نص عيناك العسليتان في النهاية.

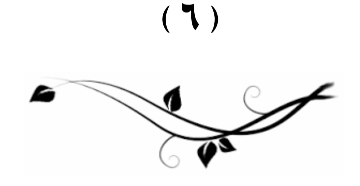
-سأحفظ لك حبا نقيا .

-حبا بحب(أحبك) لورا .

-(أحبك) فرح .

-إلى اللقاء ...

(٦)



يومي المعاناة قد غيروا كثيراً من السلوك النفسي لأسرتنا، فالتوجس والهموم قد سادا وشكلا دثارا من نوع آخر حال إكتشاف أدوات العمل الشيطاني وأظنني أتساءل الآن كم من المعذبين في الأرض يعانون دون رحمة وإلى متى يسرح هؤلاء من أولياء الشيطان دون عقاب بينما تتعذب ضحاياهم ؟

هذا ما فكرت فيه وأنا أتصفح الحاسوب الشخصي لي وقد مسحت من عليه تجربتي الروائية الرابعة التي تساقطت حروفها أمامي حرفا حرفا بسبب آثار ذلك العمل المخزي الذي طالها دون أي وخزة من ضمير والذي كاد أن يجعل مني كأديب ورسام في فعل ماض كان .

لذا قررت أن أكتب وأضع فسحة فصل كامل لفضح هؤلاء المشعوذين والمستعينين بهم من الذين باعوا أنفسهم رخيصة للشيطان وعلى ذات الحاسوب الذي تعرض لتخريبهم وأتفقت مع لورا أن أرسل لها عبر الشبكة المعنكبة كل فصل أنجزه وسوف تسحبه بدورها على الورق وتضعه بين أيد أمينة فهؤلاء جعلوا من كتابة نص أدبي كسر من أسرار البنتاغون (اللعنة).

(المهم ألا يطالوك أنت حبيبي)هذه العبارة فسرت وفتحت باب مخاوف كثيرة لكن ردي كان (الله المستعان)فقد عشت عامان من المعاناة برغم أن أداة السحر كانت أمام الأنظار صباح مساء متمثلة في ورقة من ورق اللعب (كوال)و ورقة شريطية منسوخ عليها بالحبر الذهبي أشكالا متعرجة حادة وحتى بعد العثور عليها صدفة بقيت أعاني شهورا لأن خدام السحر كانوا قد عاثوا فسادا في جسدي بسبب قطعة الكعك التي دخلت جوفي .

و بينما أنا أناغم هذا الطقس المزاجي رن الهاتف وأدركت بأنها بربارة لأنه رقم دون إسم :

-أهلا بربارة .

-أهلا حبيبي ...

-في المرة القادمة خاطبيني بفرح فحبيبي ستسبب لك مشكلة مع

لورا .

-كيف يحدث ذلك ولكن لا بأس أود أن أقول لك بأني قد حجزت على الطيارة بعد غد ...

-على الطائر الميمون ...

-لا تخطف الكلام مني ماذا أفعل بالنقود .

و هنا تذكرت النقود فخبطت جبيني بكفي :

-آه خذي نسبتك وهاتي البقية التي تخصني .

-ففتي ففتي !

- أوه كثير .

-لو لم أكن أعرفك مثل نفسي لقلت بأنك جادا تقول ذلك ولست غاضبا .

- وأنت كذلك خمسة عشر بالمائة تكفيك .

-هذا ما أحب سماعه حقا حبيبي .

-قلت لك بدون حبيبي هذه .

- ألا تمزح أبدا ؟

-مع لورا لا مزاح نلتقي بعد العصر ولتكون مناسبة كـي تتعارفـا أنت ولورا .

-نلتقي عصرا صديقي فرح .

-إلى اللقاء .

هاتفت لورا ورويت لها ما جرى بالتفصيل وكما توقعت لم يهمها من الأمر سوى أن ذات العينان الزرقاوتان ستكون في بيتنا وأن عيناها كانتا ملهمتيا أم كنت أتعامـل معهـا كموديـل خياطـة أم لا بـالمعنى الحرفي للعبارة وكنت أجيبها بالتفصيل الممل وبصدر منشرح .

وما تبقى حتى صلاة الظهر قضيته مواسيا لأسـرة الرجـل الفقيـر المتوفى بالأمس ولقد أنفطر قلبي وأنا أرى عيالـه مـا يزالـون صـغار السن وهم في أشد الحاجة لكل شيء ثم انصرفت لأصلي الظهـر وفي نفسي دارت مقارنة بين الأمس واليوم فلم أجد وجها للمقارنة .

قبل العصر بساعة كانت لورا في البيت مع أمي مبررة ذلـك بأنهـا تخشى أن تسبقها أم العينان الزرقاوتان فجلسنا نتسامر مع أمي حتـى حان موعد آذان صلاة العصر فصليته جماعـة في المسـجد ثـم عـدت لأنتظر بربارة التي جاءت في الموعد تماما تحمل حقيبـة جلديـة مـع حقيبة يدها فأدركت بأنها قد أحضرت النقود فاستلمتها منهـا بينمـا

كانت هي تتأمل المكان يشدها حنين للماضي لكن لورا لم يعجبها ذلك :

-المكان وأهله صارا لي ولي وحدي .

قالتها بإنجلزية ذات نطق سليم لكن بربارة ردت بالعربية :

-لا تنزعجي لن آخذ زمني وزمن غيري .

-و أريد أن تتذكري بأن الرجل العربي لا يصادق إلا أمه وزوجته وابنته .

و هنا انزعجت بربارة ولكني تدخلت حين شاهدت الدموع تكاد تترقرق من عينيها :

-ليلزم كل حده من جهتي لم يبقى لبربارة سوى صفة الشغل والبقية تدركها لورا هيا تصافحا ولتكن الصداقة ميثاقنا هيا بربارة .

و تصافحتا على مضض وشكل هذا الحوار تشويشا بالنسبة لي فنسيت أن أتحدث في أمر اللوحات الجاهزة لكن بربارة ذكرتها :

-أين بقية اللوحات ؟

-في بيت الجيران ... تحدثا معا ريثما أحضرها .

و غادرت المرسم وقد تركت خلفي لبؤتين ضاريتين وكانت أمي في طريقها إلينا بالقهوة والحلو ولأنها تعرف الاثنتين فقد طلبت مني ترك أمر اللوحات لها بينما أعطتني ما كانت تحمله لذا عدت سريعا إلى المرسم لأجد الصمت يخيم فيه :

-هل كنت موديل الرسم عزيزتي .

و يا ليتها لم تنطق بحرف إذ أشتعل غضب سارة :

-أنت عشت معه عامان كموديل لكنه سيء لأنك لم تفرقي بين أن ترسم بعشق وحب وبين موديلات مجلات الأزياء التي يبدو أنك لا تصلحين لها .

و هنا دخلت أمي ومعها صبي الجيران فانهمكت ببربارة في تأمل اللوحات بشكل مبالغ فيه وكأنها تفعل ذلك كي تبعد عن نفسها نظرات سارة النارية :

-إنه عمل رائع .

-أنا أقسمت أن أجعل الدنيا كلها تغني لعيني سارة حبيبتي وهذه المقدمة .

-هذا أكثر من رائع .

-رائع لأني كنت أجلس له كنموذج حب وعشق إنـه حبيبـي الـذي سأخلد به ويخلد بي وهذه هي كينونة وصيرورة وطبيعة العلاقة بيننا.

تجاهلت بربارة ذلك مرغمة لتقول :

-هذه المرة سنتبع ذات الطريقة وفي المرة القادمـة سـيكون لـك معرض في أحد صالات العرض في فاليتا.

-و ستكون معنا لورا وسنكون ثلاثيا رائعا .

-من جهتي أفضل ذلك بعد الزواج فقط .

و لسان حالها ينطق سأكون معك أينما ذهبت حبيبي......

و هنا وقعت عينا بربارة على العينين العسليتين اللتـان نجتـا مـن الحريق الشيطاني فرفعتاهما في هدوء حذر :

-ما أجملهما لمن هاتين العينان ولما النار؟

-لحبيبتي لورا والحريـق شـيطاني كـاد أن يأكـل حتـى هـذه لـو حضرت بالأمس .

قلت ذلك مشيرا لحقيبة النقود ففغرت فاها :

-بعلزبول تعجزه عينا امرأة !

-عيناي لون وروح يا ذات العينان الزرقاوتين .

منذ هذا اليوم أدركت بأنهما لن تكونا صديقتين أبدا رغم كل محاولات التقريب بينهما من طرفي والتي إستمرت حتى غادرت بربارة البيت قبيل المغيب بوقت قصير حاملة معها النموذج العاشق الحديث والذي خلفها هي ألا وهو ذات العينان العسليتان لورا كلمة الحب الناضجة والحارة .....

(لقد رحل فرسان مالطا) هذا ما شيعت به لورا جليستها لذلك اخترت الصمت دون أي تعليق وتركتها لأمي بينما أسرعت للمسجد ألحق صلاة المغرب جماعة وفي الواقع قرأت عن الغيرة والحب ولم أعرف أو أعش واقعا كالذي عشته هذا المساء وكان علي كرجل أن أكون سعيدا بحلقة النار الملتهبة التي حلقتني بها لورا اليوم وهو تعليق أمي وملاحظتها كامرأة أيضا بعدما رحلت لورا ....

لكن برغم كل شيء تظل بربارة صديقة قديمة وكما وصفتها (زهرة في مهب الريح)فلا هي مالطية كما تقول جيناتها ولا هي طرابلسية بطريقة وأسلوب الحياة هنا لذلك أنا أشفق عليها لكن لحظة الحسم سأكون رجلا عربيا وهو خياري الأخير ..!.

انتهى الشعر يا صديقتي

فقد عشت طويلا أقصى

من عمر التراب

ونمت في عينيك مسترخيا

و سافرت في أعالي الهضاب

كي أظل حبيبك

يا امرأة أحبها وتحبني

وكي لا أعود خائبا من دربي

أعتذر إن خالفت

طوق مدينتي وخالفتني

فالحب يا عسلية العينان أمران

إما أحبك وإما مثلك تحبني .

و كان الغناء ينشد حكايا

الأحباب الذين مضوا قبلي

وكنت أعزف من قيثارتي ولحني

وقد عبرت جسورا كثيرة

من مهد ولحد

ومساءات تضوع بياسمين

الدروب تجيء وتمضي

غير أني خالفت طيني وزمني

فلا أكتب لك إلا (أحبك)

يا جميلة العينان عقيدتي وطني

و إن كان وهم الدروب

يضل بغير العاشقين مثلي ....

فثوري على طين الوقت

وإن سئلت أخبري العاشقين (حبيبي) يحرضني .

و كنت قد نزعت

عن المدينة غشاوة الصمت

ولعنت الزفت والزحام

حتى آوى الحرف يحدث عنك وعني

يا جميلة العينان مكامن من حسي .

اليوم انتهى الشعر يا صديقتي

بعبورنا غابة الورد

تاركين له أن يحدث عنك وعني

إذا ما العاشقين أتعبهم طول الدرب .

انتظرت حتى أذيعت القصيدة وهاتفتني ونمت بعدها مسترخيا في عينيها العسليتين فلم أنم طوال الليل وأنا أحاول الكتابة لكنني لم أعثر على نص يرضيني فأدركت بأن طقسي الجواني قد تأثر بأحداث الأيام الماضية إذ لم أجد سوى نصوصا ركيكة لا يمكن أن تنتمي لأسمي لذلك اخترت الاسترخاء حتى نص حقيقي يليق بعينيها ...

حين أفقت ضحى وجدت نفسي أستمع من لورا لنص كتبته هي منذ أيام فقلت لم يعد هناك من بد إنه الحب يا عسلية العينان قد عاد يتلو عليك نصوصه العاشقة فدعوتها للمقهى البحري حيث اعتدنا اللقاء في بداية تعارفنا ...

كانت ترتدي فستانا أبيض اللون وتغطي شعرها بوشاح من ذات

اللون وتضع على عينيها نظارة سوداء تلاحقها عيناي وتحضنانها منذ أن غادرت السيارة وحتى عبرت المـدخل باسـمة مبتسـمة لـتجلس قبـالتي بعـد أن تصـافحنا ، أهـديتها زهـرة بيضـاء إشـتمت عبيرهـا الطازج:

-اشتقت كثيرا لعبير هذا المكان وأشعر بأنه يختزل البدايات من قصة حياتي كلها .

-هنا استلهمت أجمل قصائدي والتقينا معا هنا إنه تاريخي الحـي والناضج والنابض بالحب والحياة .

-عـلى ذكـر القصـائد مـا رأيـك بـالنص الـذي أسـمعتك إيـاه .

-لقد كنت أسمع نصا من إبداع السيد الحب يجب أن نؤمن بذلك .

-أسمعني شيئا من قصائد الماضي التي تليق بالمكـان والزمـان هيا حبيبي

-حسنا ...حسنا :

فقلت والمدينة قد انتهت من كنس الشوارع

هو ذا المقهى البحري يا عسلية العينان

وقد خلا من عدانا

نكتب فيه القصائد لآخر الأولياء

أدلجة في الصمت هذا الصراخ

عند ضاحية الشوق

فهيا نمنح الحدائق حصتها

من أطفال اللعب والأسئلة

والمساء نصيبه من عودة العاشقين

كي يكون للأزمنة تذكاراتها السخية

وحتى لا تعود الظلال متعبة عند الغسق

هذا الصباح تناولت برتقالة طازجة

و قطعة من الحلوى

كي ترتدي المواسم مذاق الفرح

وحتى لا تؤول الصباحات

مزاجي الطازج بغير قصائدي يا عسلية العينان

أواه قد نسيت هامشا صغيرا

فقد سكبت بعض الحليب مع القهوة

ولقد كان لذيذا كالمعتاد .

-ياه ما أجمل تلك الأيام أيام الترقب والانتظار.

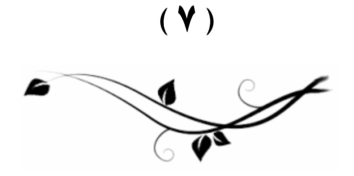
-لكني أقول دائما الانتظار أقوى من المستحيل ...

-حقا الانتظار أقوى من المستحيل ...

-ما ذا ستشربين يا عسلية العينان .

و أقبل النادل ....

(٧)



أن تكـون في القـاهرة فـذاك يعنـي أنـك لـن تنـام ، بشمسها وغيمها وأمسياتها وشوارعها وأزقتها ومقاهيها ومتاحفها وحدائقها وأناسها البسطاء وأهراماتها العظيمة ونيلها الخالد وكومة التناقض فيهـا وعراقـة كـل شـيء فيها لكن أن تلتقي فيها المرأة التي تحب والتي لم تستطع الوصول إليها في اطرابلس فتلك المفاجأة أو هي إحدى كرامات الصالحين المنتشرة أضرحتهم فيها مـن السـيد الحسين والسـيدة زينـب والسـيدة رقيـة وآخـرين فقـد غادرت شقتي مسـاء جـاعلا مقهـى الفيشـاوي الشـهير غايتي لكن ما أن عبرت الرصـيف وترجلـت الإسـفلت حتى تساقطت عـلى رأسـي وردة حمـراء اللـون تلقفتهـا بأكف متلهفة وسمعت غير مصدق صوتا أحبه :

-هيه أيها الفرعون إلى أين أنت ماض ؟

أشرئب جسدي كله نحو مصدر الصوت لأجد لورا تطل من شرفة الدور الثالث ، أصابني إعصار من الفرح الغامر لا يمكن أن تترجمه الكلمات ولا يفهم إلا بالمعاني لرجل يحتار في الوصول إلى المرأة التي يحب والتي يظن بأنه تركها في اطرابلس ليجدها ترميه بالورود هنا في ذات المبني الذي يقيم فيه منذ يومين :

-مساء سعيدا جميلة العينان ...مفاجأة لا توصف .

-لا ترفع صوتك بالغزل فمعي أخي في الشقة .

-لقد تهت خلفك شهرا كاملا وهاتفك مقفل لذا لن يهمني شيء إنه حدث يستدعي جلب فرقة (حسب الله)أيضا و....

-أحذرك من أخي فهو ذو مزاج حاد وأستاذ في كمال الأجسام والعضلات المفتولة لكن إلى أين كنت ماض أيها الفرعون ؟

-كنت حتى وردة الحب الصافي ماض إلى مقهى الفيشاوي يا سليلة شيشنق ولكن منذ الآن سأنصب خيمة انتظاري هنا تحت هذه الشرفة .

-حسنا إنها فرصة لتفريغ شحنة التوتر في جلسة معا في مكان رائع لكن تذكر سيكون معي أخي وأيضا سيكون يوم غد بالنسبة لي يوم

طويل .

-حسنا أنا في الانتظار يا عسلية العينان .

و تنشقت عبير الوردة ومضيت جاعلا مقهى الفيشاوي هـدفا لي وكأن الله يظللني بالغمام ...

لم أنتظر طويلا حتى شاهدتها مقبلة مع أخيهـا والـذي لم تبـالغ في وصفه فقد كان جرافة متحركة وهو أقل ما يقال في حقه لكنـه شـاب مثقف أدركت ذلك من خلال الحوار معه والذي دار في أمـور شـتى عرفت من خلاله أن لورا ستناقش في الغد أطروحة الدكتوراه في آثـار حقبة حكم أسرتي (شيشنق الأول وشيشنق الثـاني)و تلقيـت دعـوة منها للحضور ولقد أسعدني ذلك وختمنا يومنـا المـليء بالمفاجـآت بالصلاة في مسجد الحسين ثم عـدنا إلى السـكن حرصـا عـلى وقـت لورا.

لكن ما أن عتبت باب الشقة حتى هاجت الأشـواق فكيـف أنـام ولورا التي مر على آخر لقاء بها قرابة الشهر لا يفصـلني عنهـا سـوى جدار إلى حد أعتقد فيه بأني لو أطلقـت آهـة أو زفـرة حنـين فسـوف تسمعني لكني تمالكت بعد جرعة اطمئنان بأني سأراها في الغد وهي في حلة الدكتوراه ، أقفلت بابي وكأني أقفل على سري أذن القاهرة....

دخلت غرفة النوم وكدت أن أبدأ في تغيير ثيابي لولا أن عيناي قد وقعتا على جهاز الهاتف وهو ينام أخرسا وفي الواقع أني لم أستعمله منذ وصولي أي منذ يومان فحدثت نفسي إذا لم يكن من لقاء فعلى الأقل هاتف ولو بتحية المساء (تصبحين على خير) لكن من يأتيني برقم هاتفها، لم أعمل الفكر كثيرا ، إنه بواب العمارة أو حتى زوجته على الأقل فقد عرض علي خدماته هو وزوجته أيضا عند قدومي للسكن هنا ولم يكن من بد من الاتصال به وطلب مساعدته وقد كان ففي القاهرة فقط قل وتجد ما تريد رغم أن كل شيء بثمن وفي لحظات كان البواب يملي علي رقم هاتف شقة لورا ...

-توت ..توت ..تو

-أهلا أيها الفرعون .

-لو رن الهاتف رنة ثالثة لكنت أقفلت الخط فربما أخذك النعاس في قصره الخشن .

-أنام دون أن أتمنى لك ليلة سعيدة ...إنه أمر مستحيل هه ههه .

- تكفيني التحية من عيناك عبر الشرفة فأنا لن أستطيع النوم قبل ذلك .

- ألا يكفيك صوتي ؟

-لا ...لا ..الأمر ليس بهذه الصورة حتى لو لم تردي على هـاتفي فسأقنع بأنه قد رن بالقرب منك ؟

-إذاً أطل من الشرفة ولكن خطوة خطوة فقد أتعثر في خطواتـك أيها الفرعون .

و سرت باتجاه الشرفة

-أنا في الشرفة .

-أنظر يمينك عزيزي فرح .

-أراك وأنا مغمض العينين ولكني أريد أن أرى أول امرأة تقترب من حافة مرج البنفسج يا عزيزتي

و هنا التقت عينانا وكانت العاصفة التي تنطق عاطفة ....

-في الكون امرأة واحدة هي أنت ....

-و بقايا الهكسوس ؟

-للصور والبطاقات البريدية فقط لا غير

-و أنا ؟

-امرأة واحدة فقط لا غير

-ههههه هه هههه تصبح على خير أيها الفرعون .

-نلتقي غدا، تصبحين على خير .

و أقفلت الخط لكن عيناي ما تزالان في عينيها حتى تركت الشرفة ولحظتها أحسست بأن تلك الشرفة مكان جد محظوظ لأن لورا كانت تقف فيها ...!

و لأول مرة أحس بأن سفري قد أعطى ثماره فقد كنت أسافر في الماضي كي أبحث عن حسي الجواني وعن مشاعر الحب التي سحقتها أعمال أولياء الشيطان لكن مع لورا ينضج الحس والشعور كل يوم وكل لحظة لذلك سأقاتل الشر أينما كان في سبيل هذا الحب.

غادرت الشرفة وآويت لأغير ثيابي ثم جلست للتلفاز إلى أن سمعت جرس الباب فقمت لفتحه فإذ بالبواب :

-أتريد أي خدمة أخرى يا أستاذ ؟

ففهمت بأنه قد جاء يطلب ثمن ما قام به فتركته واقفا حتى عدت إليه بالنقود ولكن وهو يغادر تلكأ قليلا فظننت بأن المبلغ لم يقنعه فزدته :

-ما دمت كريما أود أن أقول لك بأن هناك محلا قريبا من هنا

يبيع الورود و...

و فرك يديه متلعثما :

-أنت دخلت قلبي من أول يوم يا أستاذ بل من ساعة ما رأيتك ...أنت سيد الفهم .

و هنا أدركت غايته :

-حسنا أرسل باقة غدا صباحا للدكتورة وهذه هي القيمة والباقي لأجلك .

و أنقدته النقود وقد أسعده ذلك :

-من هذا كل يوم أقصد الورد طبعا يا أستاذ جعلها الله من نصيبك قل يا رب .

- (يا رب) لا تنسى باقة الورد غدا صباحا .

-دون أن توصي يا أستاذ أنا سأفعل ذلك وأنا راض من كل قلبي، سلام عليكم .

و غادر تاركا إياي أقع على جزء آخر من الفسيفساء القاهرية وللشخصية المصرية ككل لكن دون استغراب فهي ليست المرة الأولى التي أزور فيها القاهرة ومصر عموما وفي كل مرة أكتشف

الجديد .

عدت لمشاهدة التلفاز أتابع شريط الأخبار الدسم والمنوع قبل أن أتركه لإعداد عشاء خفيف بعدما ترددت أكثر من مرة في الخروج باتجاه أحد المطاعم بحي المهندسين حيث أقيم أو حتى حي العجوزة القريب والذي لا يفصلني عنه سوى شارع البطل (أحمد عبد العزيز) وكان عشاء خفيفا كما قدرت ثم جلست لأكتب

صديقتي /

ابتسامة ووردة

و أنت عذراء تنادي

في البعيد

عيناها عسليتان

و التفاح يصرخ

في وجنتيها

الله ما أجملك

صديقتي

قريبا كنت منك

أم انتعلت مسارب

الحنين !

....

بعد وقت اكتشفت بأني كتبت هذه الخربشات لكن ما جعلني أحتفظ بها هو طقسها العاشق الذي شكلها ثم سرقني النعاس في قصره الخشن فنمت حتى الفجر حيث استيقظت على صوت الآذان بالمسجد القريب لأجد نفسي قد نمت بالصالة ورغم ذلك توضأت وغيرت ثيابي ولحقت الصلاة جماعة ثم عدت لأنام في فراشي ما تبقى من ساعات النوم .

في المساء كان التوتر قد بلغ مداه مني وكأني من سيناقش أطروحة الدكتوراه وليست لورا.. لكن بعد حمام فاتر أصبحت الأشياء في تصورها المعتاد أو هي أقرب ثم طلبت من إسماعيل بواب العمارة أن يحظر طوقا من البنفسج وضعته بحرص شديد في حقيبة كتفي وانتظرت هاتفا من لورا وأخيها كي نتوجه معا إلى الجامعة وقد كان ولأول مرة أقرأ الثقة في عيني لورا التي كانت مبتهجة وكأنها ستلقي قصيدة وليس مناقشة الدكتوراه فقبرت التوتر منذ تلك اللحظة وقد كنت محقا في ذلك فلورا كانت في يومها حتى أقنعت اللجنة وتجاوزت المناقشة وحصلت على الدكتوراه بامتياز

مع مرتبة الشرف ووجدتني أقف مصفقا لها والسعادة تنطق بها مساماتي كلها لأنها أقنعتني أيضا بقدرتها وتحول النقاش بعد ذلك إلى حفل زاه، بهيج ومفرح ووجدتني أطوقها البنفسج بكل حب وسمعتها تهمس لي :

-ذوقك رفيع أيها الفرعون .

و لا أعلم كيف تأبطت شجاعتي لأقول :

-هذه ليست المرة الأولى .

- ماذا تقصد أربكتني ..ههههه

-المرة الأولى كانت حين اخترتك لورا

-إذا أنت متهم بالبنفسج .

-ألا يربكك شيء حتى في الزحام ؟.

-أنا دكتورة يا صديق العمر .

-فقط !

-مازلت أخبئ لك القصائد .

و ابتسمت وعيناها في عيناي رغم الزحام ....

-سأقنع بهذا يا عسلية العينان وهذا ارتجال هامس مني :

ابتسامة/

ابتسامتك إيقاعها هادئ

أحتاج الإيقاع الهادئ

كي أصحو

من طواحين الضجيج

التي مرت بسمعي

زمن الغربة القاسي

ابتسمي يا وردة الحب الصافي

فإني خلفت المدائن

من ورائي

الله ما أعذب موسيقاها صديقتي

تشع بها عيناك

ابتسمي كي أشعر

بالسكينة أكثر فأكثر

فأنت مدينتي

و ما من مدينة عداها

أحتاجك كي أعيد

البهجة / النُضرة

لتكويني

مشروخ التكوين

كنت قبلك

في عيون العابرات

الله من كيدهن

من تُعسهن

ملكنني حتى لقاك

أحتاج حرفا

يليق بك

صحبة الزمان الآتي .

–أ هذا ارتجال أم حولية ؟ لكن يكفي ليس أكثر... ليس أكثر، أتعلم ماذا أحب سماعه الآن (فيروز)..

- نحن والقمر جيران

-كانت على طرف لساني .

-حسنا لن أسرقك من أصدقائك وصديقاتك نلتقي عند المغادرة سنغادر معا .

-أنت فرعون مهذب يا عزيزي .

و تركتها للزحام بين معجب وحاسد لكن عيناي كانت تحرسانها في ود حتى بدأ الجمع بالتفرق والمغادرة وحينها عدت إليها مع أخيها سامر الذي كان حارسا أمينا في العزلة وفي الزحام ورغم أنه كان يوزع نظراته بين طوق البنفسج وبيني إلا أني تظاهرت بالاعتيادية والعفوية فكثيرا ما يهدي الغرباء في أرض الغربة بعضهم البعض فما بالك بالأصدقاء لكني احترمت مزاجه الحاد كما ذكرت لي سارة .

خطر ببالي الفرعون الذي تلقبني به لورا فهناك فرعونا هو الفرعون (اخناتون)يوحد الله ويذكره بالخلق وكل ما يمكن أن يكون للإله مما نذكر به الله سبحانه وتعالى لكنه يعود ليجعل من نفسه أبنا لله من صلبه وأن ذلك الإله مقتصر على مصر العليا والسفلى ويمكن أن نجد أيضا إرشادات ونصائح تمثل القيم العليا وهي قيم

مثلى تخص ذلك الإله الذي يمتلك مثلا وقيما عليا لكنه يعود ليقع في الشرك بادعاء أن فرعون ابن له من صلبه لينسف تلك القيم والمثل وأيضا الحقائق ويخرقها بالتخريص والهرطقة لذلك أجدني أرتعش كلما وصفتني بذلك خاصة وأني مازلت لم أتخلص بالكامل من بقايا أعمال أولياء الشيطان رغم تقادم الزمن على الفراعنة ورغم الانفتاح المفرداتي في اللفظ والمعنى .

و رغم هذا الخاطر إلا أني مكتف بهذا اللفظ الذي يبدو مجردا فقد تكون إقامة لورا الطويلة في القاهرة قد جعلت ألفاظا أخرى تجري على لسانها كلفظ (روح جاتك داهية أو روح جاتك مصيبة) رغم مستوى درجة العلم والثقافة التي تجعلها بعيدة عن ذلك لكنها قد تلتقط لفظا من هنا أو هناك ولو كان في محل أو من شريط خيالة مما يشتهر به المصريون يبقى هذا اللفظ أرقى حسا ومعنى لكن أن أكون فرعون قلبها كأن أكون أميرا فيه لذلك يبقى فرعون الأفضل ولعلي أحلل ذلك الآن حتى أنفض الغبار عن هذا اللفظ وأجعله مجردا فقد كان فرعون دائما يبطر بالنعم التي لا تتوفر لغيره .

سيطر علي هذا الخاطر طوال الطريق إلى السكن رغم أني قررت تجسيده في لوحة أهديها إياها هنا في القاهرة التي ستبقى فيها حتى إتمام الإجراءات الروتينية والإدارية والمالية فلا أعقد منها هنا لكن

مع رجل جاء ليسوح فيها فيجد المرأة التي يحب فالأمر جد مختلف....

وصلنا السكن في سيارة سامر الذي يقيم في القاهرة منذ خمس سنوات يدرس ويعمل أستاذا مدربا في أحد أندية كمال الأجسام الكبرى لذلك وجود لورا معه كالهدية الربانية بالنسبة له أيضا لكن يبدو أن النعم لا تدوم طويلا ورغم أنه قنوع كما يقول إلا أن لكل شيء حد فقد أخطأ في المرور من أكثر من شارع ليجد نفسه يعتذر في كل مرة، ترجل كلانا في صمت احتراما لمشاعره، لكن في المصعد الذي كانت قامة جسده تسد مدخله نظر إلى كلينا ثم:

-أنتما مدعوان لزيارة القرية الفرعونية غدا صباحا .

نظر كلينا كل للآخر ثم وجدت سارة تجمع قبضتها الرقيقة وتضعها على كتفه العريض جدا وتقول وهي تحاول تقليده :

-لو وجدوك هناك مقطب الجبين هكذا لحنطوك كأي فرعون أتفهم .

كان يمكن أن أضحك أو حتى أبتسم ابتسامة عريضة لكني اعتقدت بعائلية الموقف فلم أعلق بينما استمرت سارة تقول والمصعد يفتح مخرجه :

-من جهتي سأرافقك للحراسة كي أردعهم و..

و هنا أدرك سامر نفسه :

- حينها سأستدعي تلاميذي .

-عندها سيطلقون عليها قرية شيوخ الغفر.

هنا تبسمت وحينها أخذني من يدي وكنت على وشك الوقوف أمام باب شقتي :

-لا تتركني وحيدا أمام دكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف في الأمسية الأولى .

و وجدتني أسير معه نحو باب شقتهم وأقول :

-بعد زيارة القرية الفرعونية أنتما مدعوان للغداء في أي مكان تختارانه في القاهرة .

و هنا تدخلت سارة باسمة :

-لا تتورط في الطعام معه فهو يتناول أطعمة خاصة.

-لا تربكيه ، وجبة إفطار في الشرفة هذا مناسب .

-قبلت .

و فتح الباب وولجنا الشقة ولحظة أضاء النور كانت الصالة

تأخذ طقسا احتفاليا راقيا في كل شيء ولم تخفي سارة فرحتها بما رأت :

-رائع يا أخي رائع جدا .

لقد كان كل شيء معدا بأيد خبيرة راقية وعفوية وتستطيع من خلالها قراءة نسخة عريقة في الإعداد :

-رغم إدراكي بأن هذا اليوم سيربكني إلا أن فرحتي قد غلب طقسها على أي شيء آخر هيا دشني طقوس الفرح الزاهي يا دكتورة لورا .

في الواقع دمعت عيناي لهذه الأخوية ومشاعرها الصادقة لكن الفرح كان طاغ ولم أستغرب ذلك منه فقد أدمجني في حياتهما رغم أنه إلتقاني بالأمس فقط لكن هكذا الأبطال ....

ما أسعدني أكثر هو أن كل شيء معد لثلاثة أشخاص كنت واحدا منهم وما أدهشني أكثر هو روح الشراكة لدى سامر الذي أخبرنا بأن كل هذا الإعداد هو لتلاميذه بالنادي ولحظتها لم أستغرب أصناف الطعام الغريبة التي تخصه فهو لم يتخلى عن الاحتفالية ولم يخالف برنامجه في الطعام ولحظتها أدركت معنى كلمات لورا عن أصناف طعامه الخاص جدا وحتى لا يربكني ذكر لي مكونات إفطاره وأين تتوفر في القاهرة كي لا تضيع عفوية ذلك الإفطار المرتقب وتسامرنا

طويلا وهو يردد(ليل القاهرة طويل لولاكما أيها الأعزاء جدا)....

بعد عودتي لشقتي تهاتفنا قرابة الساعة ، في أمور شتى تخصنا لنزداد قربا ومعرفة ببعض وأسمعتها (نحن والقمر جيران) بصوت فيروز في إحدى حفلاتها رغم وجود النسخة الأصلية معي لكني فضلت توزيعها الموسيقى في الحفل الحي والحقيقة أني اكتشفت حقا كنزا فينيقيا حقيقيا مشاعرا وحسا وخلقا وثقافة وكلها عفوية ودالة على شخصية ناضجة فأن تجد امرأة ناضجة ولها جمال فينيقي حقيقي فذاك أكثر من المرتجى لذلك نمت نوما عميقا حتى الصباح.

لم أستغرب ونحن نجلس في الشرفة نتناول طعام الفطور كيف يمتلك سامر ذلك الجسد القوي البنية وقدرته على المحافظة عليه وذلك من أصناف الطعام التي يتناولها والتي أرسلت إسماعيل بواب العمارة لإحضارها في الصباح الباكر في مقابل ما كنا نتناوله أنا وسارة التي أدركت قدرة أخيها الأستاذ على الدمج والإدماج :

-أهكذا تعامل تلاميذك ؟

-الجدد فقط ثم هم يأتون جاهزين لكن ينقصهم روح الفريق .

-لماذا درست الإعلام إذا .

-كي أدرسه بعد أن يترهل جسمي يا لورا .

و هنا تدخلت كي لا تأخذ الصبيحة مزاجا حادا :

-أعتقد بأن ذلك سيحدث معك وأنت في السبعين على أقل تقدير.

-لا تجعلاني محور الحديث كلا قدرا كافيا من طعامكما .

-أتخشى الحسد ؟

قلتها مازحا :

-يوصل الجمل للقدر والرجل للقبر .

-لن نحسدك أنا ولورا أبدا.

- إنه مجرد زهو في العين وبعض من التمني يا عزيزي .

- دعونا نستشرف زيارة اليوم .

-حسنا لورا حسنا ، ماذا أعددت لها ؟

في الواقع قد سار كل شيء كما ينبغي وكانت زيارة رائعة لكن الطريف قد حدث في كوخ أو أستديو التصوير حيث التقطت لنا صور في أزياء فرعونية كما طلبنا لكن سامر لم يجد مقاسا له على الإطلاق فأضطر المصور إلى التعامل معه عبر البرنامج الافتراضي إذ اختار الثياب والتقطت له صور فقط دون ارتداء أيا من تلك الأزياء

لكن الجمال الفينيقي قد أشع بثوب فرعوني وكان ذلك العلامة الفارقة لهذا الضحى .

و في المساء ركبت القطار وقرأت الفاتحة على روح الراحل جمال عبد الناصر وزوجته (تحية) وصليت المغرب هناك بينما العشاء صليته في الأزهر الشريف وعدت للسكن حيث وجدت صور القرية الفرعونية تحت الباب ..تناولتها ودلفت الشقة ومن تم جلست في الصالة أتأمل الروعة العصرية للفراعنة ورغم تسليعها إلا أنها تحمل طابعا جماليا راقيا .

طوال المساء كنت أفكر في اللوحة التي سأرسمها للورا ورغم توفر كل شيء إلا أنني أردت أن أخوض تحد للمرة الأولى بالرسم على ورق البردي الذي أحضرته من القرية الفرعونية لذلك كنت متوجسا بعض الشيء حيال هذا التحدي وقد كان ، انقطعت عن العالم لساعات لأنتج لورا الفرعونية وسارة العربية وسارة الفرعونية ولورا العربية ، كانت لحظات جد صعبة لا تتكرر في حياة أي فنان يخوض تجربة ورق البردي الغامضة لكني أنتجت لوحتين كتجربة أولى وضعتهما أمامي قبالة الصور الرقمية ووقفت لحظات أتأملها جميعها فكنت راض عن ذلك للوهلة الأولى حقا كنت راض ...!

تركتها حتى تجف فورق البردي يحتاج معاملة خاصة غير الورق

العصري أو الخشب أو القماش وكأني أنتظر الشمس بعد ليلة عاصفة ....

فجأة سمعت جرس الهاتف لينتشلني من استغراقي ولو لم أكن في جوار لورا لحطمته لكن في داخلي جواد جامح يحرضني على رفع السماعة لتكون لورا :

-تصبح على خير عزيزي الفرعون .

- أنا مسائي بدأ الآن عزيزتي .

-بعد قليل يصيح الديك المغرور .

-الغرور يذكرني بفتاة مالطية كانت تريد مني أن أبدأ العمل بتوقيت قدومها وأختمه بموعد انصرافها كالدوام الرسمي .

-إذا كانت هناك واحدة قبلي ... قبل أن ترسمني .

تجاهلت النصف الأول لتساؤلها :

-إذا كنت تعلمين بأني كنت أعمل في بروتريه لك .

-إحساس فقط .

-من تفضلين الفرعونية أم العربية ؟

-أنت الفرعون فلا أحب التخمة .

- لا يمكن لفنان أن يرسم لـوحتين لامـرأة واحـدة في سـاعات معدودة إلا إذا كان ...

-إلا إذا كان ماذا ؟

-يحبها .

دحرجت كرة الثلج في صمت ثم تركتها لتلتقطها :

-و بقايا الهكسوس ؟

-قلت لك للصور وطوابع البريد فقط لا غير

-حسنا تصبح على خير أيها الفرعون .

-انتظري قليلا يا وردة الحب الصافي .

-إنها الثالثة صباحا .

-أعتذر إن كنت تركتك حتى هذا الوقت في خيمة انتظاري .

-قلت لك تصبح على خير أيها الفرعون .

-نلتقي في الغد يا ذات العينان العسليتان .

و أقفلت الخط وبعد لحظات عاودت الاتصال:

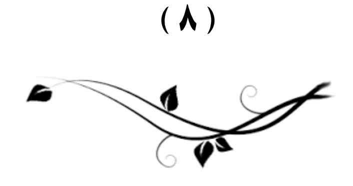
-في القلب رجل واحد ههههه هه

-في القلب امرأة واحدة .

و أقفلت الخط .

و كان هذا أقصى اعتراف حصلت عليه منها طيلة بقائي بـالقرب منها لشهر كامل إلى أن عدت يشدني الحنين إلى الجميلة اطرابلس .

(٨)



أيقظني جرس الباب من غفوة قصيرة ولقد تلكـأت في الاستجابة له لبرهة قصـيرة لظنـي بـأن أمـي سـتفتح الباب لكن ذلك لم يحدث فقمت من فراشي استجابة له وفي نفسي ملاحظة وهي أن هناك اختراعا اسمه الهاتف النقال ، وقفت أمام الباب لبرهة أسوي من وضع ثيـابي ثـم أدرت الأكـرة لأجـد نفسـي أمـام مفاجـأة صـغيرة (شيماء) وهي إحدى قريباتي بنظارتهـا السـميكة وبدلـة الجينز وشعرها ذو الضفيرة الواحدة والتي حالما رأتنـي حتى شعرت بتلـك الجاذبيـة إلى حـد كـادت تصـدمني وهي تمد كفها للمصافحة ، أفـردت كفـي للمصـافحة وتصافحنا ، وشيماء فتاة من أقربائي رقيقة الحس كانت آخر مرة رأيتها فيها قبل خمس سنوات أي في اليوم الـذي أعلن فيه عن خطبتنا أنا ولورا ويومها غادرت والـدموع

تكاد تنزف من عينيها نزفا لأنها كانت تمني نفسها بعلاقة معي أو على الأقل صداقة كمرحلة أولى لكن خبر الخطبة صدمها بعد أن توهمت بأني خالي القلب أو على الأقل أحمل لها إعجابا والواقع أني كنت أجاملها لرقة مشاعرها فقط وهو الخط الذي حافظت عليه معها لكنها تفاجئني اليوم بهذه الزيارة :

-أهلا شيماء ما هذه المفاجأة ؟

و وجدتها ترد وقد ركزت نظارتها السميكة على عيناي :

-انقطعت زياراتكم فقلت أكون صاحبة المبادرة يا فرح .

-صاحبة فضل لا تجارى أنت.

و قرأت على ملامح وجهها استغرابا من إصراري على عدم إفساح الباب كي تمر :

-أعذريني فأنا في ثياب النوم كما ترين والوالدة ليست في البيت .

-لا حرج تعال نجلس في الجنينة ننتظرها فقد مر وقت طويل لم أرها فيه، كم أنا مشتاقة لرؤيتها .

قالتها وعيناها في وضعية غزل فلم أجد بدا من النزول عند رغبتها في حذر شديد :

-حسنا حسنا ولكني على موعد مع لورا وكما تعلمين فإنها تغار

حتى من نفسها .

-لا بأس الغيرة دليل الحب الناضج .

-تعالي نجلس في الجنينة .

و عبرنا للجنينة وجلسنا هناك صامتين لبعض الوقت غربلت فيه ذكريات طويلة استنتجت منها بأنها تكاد تكون ذات الفتاة التي غادرت قبل خمس سنوات جريحة ومغضبة لكني أبعدت عنها صفة الخبث بل أشفقت عليها من جرح الحب الذي هو من طرف واحد فليس أقسى منه على القلب في عالم الحب ...كانت في الماضي تتقرب إلي وتحاول الوصول لقلبي بشتى الطرق حتى أنها طلبت مني مرة أن أعلمها فن الرسم وكنت يومها منشرح الصدر فوافقت حفاظا على مشاعرها الرقيقة وما آلمني يومها تجاهها هو أنها تريد أن تفعل المستحيل كي تصل إلي لذلك مازلت أحمل لها ذات الشعور بالشفقة لكن إلى حد معين وغير ذلك فلي حياتي الخاصة بكل تفاصيلها ولها حياتها ولكن يبدو أنها لم تيأس فما يزال حلمها القديم يلمع في عينيها إذ قالت كي تخرق الصمت :

-أما تزال تكتب شعرا أقصد هل كتبت شيئا بعد ديوانك الأخير...

و كأنها زهرة في حالة تقصف أمام الريح أضافت :

-أنا أحفظ كل أعمالك وأعجبني ...

و سعلت سعلة قصيرة مبوبة للإلقاء المؤثر :

أيقظتني العاصفة بعدما نمت على عجل

وكان وجهك يطل عبر النافذة

يحرضني كي أصلي ركعتان لتهدأ العاصفة

فتوضأت على عجل

وصليت أطلب السكينة

فغادرت العاصفة المدينة

وظل وجهك يبتسم حتى سرقني النعاس

أي سر في كأس الشتاء هذا

كي يتقمص المدينة ؟

-إلى آخر النص يا فرح

و كأنها تريد أن تقول شيئا من خلال ذلك وللحظة فكرت في مغامرة إرضائها :

لكنه يومي وأنا أحب يومي

سعيدا كان يومي المستنسخ

في علبة الشمس والرمال

منذ صباح ونيف

و أنا أروي قصة الماء

لزهرة تأخر عنها الغيم

علني أستعير ربيعا

قبل هطول الشتاء

بمداسه عند مسارب الحقول

التي أتعب عيونها صيف خجول

والحكاية لك يا صديقتي

قبل أن يجف بنطال العاصفة

و تعود عيناك من رحلة ظافرة في عيناي

ففي صبيحة الوقت المعتاد

كان حلمي ينشد باتجاه عسل عينيك

وكان طابور السابلة

يقض مضجع وسادة طين الوقت والزحام

و عندما جاء البشر

يقرؤون الصفحة الحادية عشر

من قصة الموت والحياة

صادر الريح نداء نظيفا وصامتا

للبعد الرابع لصوت المدينة

وغادر الأطفال الحدائق يسألون ويلعبون

فأينع العشب على أطراف الأرصفة

وعاد السنونو يقرأ

أحوال طقس عيناك العسليتان

الله كم كان يومي رائقا

-أليس هذا شطرها وبدايتها يا شيماء لا تخجلي فأنت رفيقة الطفولة وأنا طفولتي جعلت مني شاعرا ...

فركت أصابعها قبل أن ترد :

-في القلب امرأة واحدة

تشعل الحريق

في البيت

في المقهى

وفي الطريق

تطاردني صورتها

فأبوح لكل النساء اللواتي يشبهنها

غير أني أعتقد

أن لا شبيهات

لها في الوجود

-أحس بأنها مكتوبة لكل النساء ...

و هنا سحبت المجاملة كي لا أنضج مساحة الوهم لديها :

-إنها لامرأة واحدة فقط (لورا)فقط .

و برغم أني قد شعرت بانزعاجها إلا أني قررت ألا أصدر لها أي كمية من الوهم ...و لحظتها داعب أنفاسي عطر أحبه حبا جما لكن لم

تترك لي صاحبته الفرصة كي أتطلع نحوها فقد شعرت بكفين ناعمتين على عيني فأدركت بأنها لورا :

-حبيبتي لورا ...

-هكذا يدرك الحب أيها الفرعون الصغير .

قالتها وكأنها تهمز بذلك شيماء فهي تعرفها من قبل :

-الدكتورة لورا لا تريدني أن أراها إلا بعيون الحب .

قلتها حتى لا تنزعج شيماء :

-أين ماما يا فرح ؟

قالتها وهي ترفع كفيها عن عيني .

-أفقت من نومي فلم أجدها ولكن هناك اختراع اسمه الهاتف النقال اتصلي بها فنحن نجلس هنا منذ نصف الساعة يا عزيزتي .

-حسنا حسنا ..

و في لحظات طلبتها بالهاتف ثم انتحت جانبا وهي تهمس فلم يصل إلينا من حديثها شيئا ثم عادت إلينا وسحبت كرسيا وجلست بجواري :

-الأم في بيت الجيران ولكن هل قاطعتكما في أمر هام .

-كنا نتحدث في ديواني الأخير يا عزيزتي ولكن لم يفتك شيء .

فعلت لورا كل ما يمكن أن يجعل من جلستنا نحن الثلاثة مربكة ولا تخص إلا اثنان فقط أنا وهي فقط ولـولا دخـول أمـي لسـقطت شيماء أرضا مغشيا عليها أو غادرت باكية في تكرار لمـا حـدث قبـل خمس سنوات فدخلت هي مع أمي بينما بقينا نحن الاثنـان جالسـين وابتسامة النصر تسطع في عيني لورا :

-ما الذي جاء بها ؟

-اسأليها إن بقي لديها قدرة على الإجابة .

-الحب لا يعترف بالخيبات يا حبيبي لذلك عادت ؟

-دعينا من ذلك الآن فقد وصلتني دعوة من فنانين شبان في روما وأفكر في تلبيتها ما رأيك ؟

-كم يستغرق ذلك أيها الفرعون ؟

-أسبوعان تقريبا ثم هي فرصة لأرسم لورا الرومانية فيوم التقينا لأول مرة كنت تجسدين الجمال العربي الفينيقي الإغريقي الروماني ومن يومها وأنا أبحث عن مسرب يقربني من ذلك الإحساس الرائع.

-حسنا حبيبي افعل ما تشاء وستجدني في انتظارك .

-ألن تغاري من طقوس نساء روما ؟

-فات الأوان ففي القلب رجل واحد .

- في القلب امرأة واحدة .

- داكوردو ... أهكذا يقول الطليان ؟.

-اتفقنا... وفري الغيرة لنساء اطرابلس الجميلة يا حبيبتي لكن أتعلمين بأني في إحدى الزيارات الماضية استمعت لأغنية في سيارة للأجرة وهي أغنية الموسم تقول (سارة بركي تيامو)داهمني لحظتها إحساس بأن زمن الحب قد حان خاصة وأن اسم سارة يعني لي الطهر والنقاء معا ....

-كل ما أريده منك أن تحافظ على فرعون قلبي حبيبي فرح .

-أعدك سارة (تيامو سارة) لن تكون لغيرك ولن تمس أبدا والآن استمعي لهذه الأبيات :

أحبك عسلية العينان

و لو غابت النوارس عن مرافيها

و لو نام السنونو في طقس الغياب

و لو تعذر على فيروز

أن ترسل صوتها

تندد بجاهلية الأحباب

حراق هذا القلب بحبك مدركا

أن الحب يصنع الأولياء

و يرسل النوارس نحو المرافئ

و ينبت الشبع في الصحاري

لأنه مثل من مثل الله العليا

في الأرض وفي السماء

لأجل عينيك العسليتين

سأظل أحبك أنت....أنت

و لو تأخرت ولو تأجلت ولو انتكست

الحضارة البشرية مليون عام

أحبك وعسل عينيك

يدلق في نهار المكان

يختزل الزمن ويعلن

أن الحب قد عاد بعد صيام .

استمع أنت لهذا التدوين بعيـدا عـن مفـردات رومـا المعاصـرة والروم :

أسميك للعلن لحرفي الشهي

الموغل في دمي وشرياني

عل ضحكات الأطفال تأخذ بعدا

أعمق من مسرة البراءة

و كي أكتبك بنبضي

فيشرق الحرف كأمنية الصباح

وكي تلتهم أوراقي حرفا صارخا

ينادي منذ لحظة الغياب الأولى والجائرة

إنه أنت ...أنت

أحب مزاجك الطاغي

يدون حالة الألق في يومياتي

التي قد تسجل غيابك

لكنه عصر المفاجآت

أن تغيب فجأة وألقاك فجأة

مثل عصر من الياسمين الطازج

أو سرب حمام زاجل

ينقر شباك يومي

و قد هده التعب

لكنه فرح بالمسافة الزمنية

التي قطعها من بيت جدك

في بلاد الأندلس وحتى سطح داري

أحبك قبل أن تدون التواريخ حزمة المشاعر

و قبل أن يختصرها المحبون

في حروفها القصيرة

و حتى يسجل للنهار ازدحامه

و للمساء ذويه ولليل آله

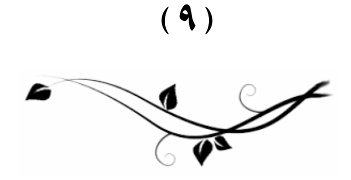
حتما إنه أنت ...أنت

ذات التفاصيل القديمة

لا ، لم ولن يغيرنا شيء .

و كان هذا درسا راقيا في الثقة والحرية الشخصية ......

(٩)



لمن سيسكب هذا الجدل طواحين أوقاته ؟

لفنجان القهوة العجلة؟

أم للجريدة الملقاة المهملة

منذ زمن مضى ؟

أم لهامش صغير

على دفتر يومياتي ؟

للوقت، لعلامة فارقة لحبة دقلة

ولسيد الشهور

ولسطر قصير يسكن

ورقة زرقاء اللون

معنوناً في احترام باسمي

عمره من عمر زمني

الذي هو من عمر امرأة

عاشت فيه تحب الدقلة

والنوارس والحمام الزاجل

ومشاوير قصيرة بأقدام حافية

تغتسل بأمواج البحر

تناقش من خلال مقالة قصيرة

قصة الحب التي لم أكتبها بعد

- وكتبها علي القدر-

في حب امرأة تجادل في السكون

نثراً تحبه على ورق أزرق

تدرك بأنه يخصها

وتخفي خلف ملامح الترقب

براكين (جاوا) وثوراتها ؟.

وجدت هذه الأبيات في بريدي صباحا فأدركت بأن مصدرها لورا وبأنها قد عادت من القاهرة حتى قبل أن أطلع على صاحبة النص أو زمن نشرها فلا يوجد من يجيد قراءة مونولوجي الداخلي أفضل منها لذلك جلست أرشف فنجان قهوة الصباح لأرد على مشاكستها بذات النسق :

لم أعرف الحب بعد يا صديقتي

إذا كان يلمح ويحتار

ويواصل براكينه العظيمة

حين يضع علامة استفهام

في شكل همسة عابرة .

سأكتب القصة التي تؤدلج العلاقة

بين قصائدي والضفيرة

بين عينين عسليتين

تناهز المسافة الزمنية إليهما مليونا عام .

ورغم أني وصلت إليهما حاف القدمين

لكن شكل العلاقة وعمرها

وجدت هذه الأبيات في بريدي صباحا فأدركت بأن مصدرها لورا وبأنها قد عادت من القاهرة حتى قبل أن أطلع على صاحبة النص أو زمن نشرها فلا يوجد من يجيد قراءة مونولوجي الداخلي أفضل منها لذلك جلست أرشف فنجان قهوة الصباح لأرد على مشاكستها بذات النسق :

لم أعرف الحب بعد يا صديقتي

إذا كان يلمح ويحتار

ويواصل براكينه العظيمة

حين يضع علامة استفهام

في شكل همسة عابرة .

سأكتب القصة التي تؤدلج العلاقة

بين قصائدي والضفيرة

بين عينين عسليتين

تناهز المسافة الزمنية إليهما مليونا عام .

ورغم أني وصلت إليهما حاف القدمين

لكن شكل العلاقة وعمرها

ختام السؤال دربي شائك قليلاً

حتى تبوح باسمي

معنوناً بالزمان والمكان .

لكني واصلت غير مقر بالهزيمة فأشواقي كانت تملي علي المفردات وليس شاعر الجن :

لذلك أحب النوارس والحمام الزاجل

وبراءة الأطفال والنضج الباكر لامرأة

لون عيناها عسليتان.

سأبوح بالقصة كاملة

فواصلا ونقاطاً في آخر السطر

ومداخلاً ومعقبات

علها تدرك المعنى من خلف معاناتي

وتفتح جدل العينان فإني أحبهما

من عمر يناهز هذا اللون

وأدرك التفاصيل عن

بعد ألف ألف عام

فكن قريني يا قدري

فما اشتهيت قدراً

قدر ما اشتهت عيناي تكلما العينان .

شمس الربيع تمنح نورها لهاتين العينين

وألق ما عرفت غيره

يستبيح في لهجة بريئة

كل ما أعددت لأجلك عسلية العينان .

أدركت بأن مزاجها رائق وأنها مبتهجة بقراءة مزاجي السري لحظة قرأت :

فكوني صديقتي عل السماء تمطر

قبل أن يمر درب العمر

ونحن نزرعه سكونا ومفردات جدل

وهمس معمد لغاية بعيدة عنا

رغم الشاطئ الطويل ...الطويل

وكلانا قدماه حافيتان

وأعود فأقول إنما هو الجدل وطقس الجدال

وإن أردت محباً ذاكراً

وغيما بمطر عاصف ثلجا وبرداً وقرنفلاً

وزمناً معنوناً بعفوية للحب وأطواره

فلن تجدي سواي .

ولكن هو الحرف وغيمه

ونوارسه الجميلة التي نحب

وحمامه الزاجل رمز رسائلنا للعاشقين

ولطور الحب شمسنا وظلنا

وماءنا العذب وأطواق الياسمين

ولزهرةٍ لم نسمها بعد

كسر من أسرار شمس حبنا .

سأكتب القصة كاملة،

لحظة مجيئك لزمني

و إتساق زمنك مع زمني

وحالة الرهبة والذهول

و انفراج عينيك أمام عيني

محب عاشق للون العسل بلا نهاية ،

هكذا سيراً حثيثا من زمنك لزمني

فإني أحب أن أبوح

لكن بقلمي بتنهيدة عفوية

بطقس جميل ماطر

يؤول الحب لصالح زمني .

لحظتها دونت هذه الأبيات وانتظرت :

فلأجل عينيك أنا راهبٌ

في الحب والحب أقدار

وأنا أحب يا عسلية العينين أقداري .

-صباحك سكر عزيزي فرح .

و لحظتها التقطت أنفاسي وأتسق عالمنا السري لأقول :

-الحمد لله على السلامة حبيبتي .

-أ هكذا يجعلك الشعر جريئا أيها الفرعون .

-أنت حبيبتي وما من حبيبة عداك يا سليلة شيشنق .

-ألم تتسرع في هذا وتفضل الانتظار قبل أن تتورط (!)، مثلا لماذا أنا عزباء حتى الآن ؟.

-كي نلتقي وتكون في الكون أروع قصة حب ثم في القاهرة أدركت كل شيء .

-أنا أعاف الرجال وأهرب من قصص الحب يا رجل ....ألا تسأل لماذا؟ .

-ما كانوا رجالا ولا كان الحب حبا ففري إلي يا حبيبة العمر .

-حسنا هه ..هه..حسنا.

-في القلب امرأة واحدة .

- في القلب رجل واحد .

-ختام السؤال دربي شائك قليلا

حتى تبوح باسمي

معنونا بالزمان والمكان .

- أجدك قد حفظت الأبيات سريعا ثم أيهمك هذا كثيرا ؟

-كلون عيناي ويوم مولدي، كأبي وأمي ثم يهمني كحياتي الجديدة .

-حياتك الجديدة أم موديلك الجديد ؟.

-لماذا القسوة ؟أنا أحبك ...

سادت لحظة ترقب ثم :

-و أنا ......

-ماذا؟

-أنا ....أحبك يا رجل....أنا أحبك يا رجل .

و أنقطع الاتصال فقد أقفلته لكني كنت أسعد رجل في التاريخ ...و يليق بي اسم فرح إلى الأبد وقد عزمت أن تكون هذه الحوارية الشاعرة بين دفتي ديواني القادم(ثرثرة على ضفاف الحلم).

جلست أرشف فنجاني دون جدولة ما حدث سوى كلمة (أحبك) التي كنت أضع عليها عيناي وقلبي وجوارحي كلها معا كأني لا أريد سواها ولا أريد عداها وكانت تلك زهرة البوح الأولى التي هندستها أصابع القدر في حياتنا معا .

(١٠)



حين ترسم تضعك المخيلة عند عقدة اللون دون أن تبتزك. عندها تسافر وحدك . إلى مدن من البلور.نحو مرافئ ترسم لك المدن البحرية برائحة الملح والمحار الطازج وتمنحك الحظ السعيد في الحب وحينها تصبح ذاكرة الألق هي رائحة الأحباب ويغيب الحزن عن النوارس، هذه تراتيبية للعين دون أن تزعج اللغة أو تزعجك أو تظن بأنك قد تفتك لهجة تخصك دون أن تخوض في السائد والمعتاد ..أذكر بعد عودتها من القاهرة بأسابيع بأني قد أرسلت لها رسالة قصيرة لكنها سادت (إما الحب وبكل عنفوانه وإما الهجرة إلى بلدة جخرة) لترد في وقت قياسي (أحضر لك كوب لبن بدوي رائق .. الحب لا الرحيل. أحبك بحرفها الصارخ) ومن لحظتها ونحن نعيش الاعتراف بقصة

(١٠)



حين ترسم تضعك المخيلة عند عقدة اللون دون أن تبتزك. عندها تسافر وحدك . إلى مدن من البلور.نحو مرافئ ترسم لك المدن البحرية برائحة الملح والمحار الطازج وتمنحك الحظ السعيد في الحب وحينها تصبح ذاكرة الألق هي رائحة الأحباب ويغيب الحزن عن النوارس، هذه تراتيبية للعين دون أن تزعج اللغة أو تزعجك أو تظن بأنك قد تفتك لهجة تخصك دون أن تخوض في السائد والمعتاد ..أذكر بعد عودتها من القاهرة بأسابيع بأني قد أرسلت لها رسالة قصيرة لكنها سادت (إما الحب وبكل عنفوانه وإما الهجرة إلى بلدة جخرة) لترد في وقت قياسي (أحضر لك كوب لبن بدوي رائق .. الحب لا الرحيل. أحبك بحرفها الصارخ) ومن لحظتها ونحن نعيش الاعتراف بقصة

- كم قصيدة ستكتب في عيني بعـد أن نتـزوج ؟- وهـو المقـرر نهاية الأسبوع- وهل ستكون عيناي مثل عينا (إلزا) أراغون ؟.

ضحكت قبل أن أجر إجابتي من خندق الاستبداد في اللاشـعور لأقول :

-تراث العاشقين كبدء الخليقة

قد تدركه عداوة أو خطيئة

لكن الأزل انتصار الحقيقة ..

لترد ضاحكة :

-لن أخشى على عيناي من طول الرحلة حبيبي ههه هههههه.

-لهذا كافئني الله بك .

و لم تزدحم جملة حياتية في واقعي قدر ما ازدحمت قصـة حبنـا أنـا وهي ..

فمازلت أؤمن بالقدر كحد فاصل بين الحياة والواقع لذلك حين اخترت لورا اخترت قدري .

بقي على نهاية الأسبوع يومان فقط وكنت كلما دخلـت البيـت أو خرجت منه تحيطني أمي والنسوة بالزغاريد وكنـت فرحـا بـذلك إذ

عدا بهجتي فأنا أسعد أمي رغم أنها إحدى العادات الشعبية لذا أعيد ما أقول :

أيقظتني العاصفة بعدما نمت على عجل
وكان وجهك يطل عبر النافذة
يحرضني كي أصلي ركعتان لتهدأ العاصفة
فتوضأت على عجل
وصليت أطلب السكينة
فغادرت العاصفة المدينة
وظل وجهك يبتسم حتى سرقني النعاس
أي سر في كأس الشتاء هذا
كي يتقمص المدينة ؟
ويتجلى وجهك العربي يغتاب الحقيقة؟

مازلت أذكر لقاءنا بعد التهديد بالهجرة إلى بلدة جخرة الجميلة(!) فأول تساؤل منها كان حول من أعرف هناك في جخرة؟ وحين ذكرت لها الواقع بأني لا أعرف سوى عيناها العسليتان وقصائدي –و احتمال بأننا قد نتراسل بالحمام الزاجل- حينها

احتمت بي من السابلة لتهمس :

-ألم تكتب

. أحبيني أكثر فأكثر

يا امرأة أحبها وتحبني

واللحظة أهمس: أحبك يا رجلا أحبه ويحبني.

لحظتها سحبت اللحظة عن الربكة :

-أتسمعين صهيل أحلامي؟؟

يا امرأة من عقيق وبيلسان .

و من يومها وقصائدي غيمة لا تمطر إلا لعيناها العسليتان وأشعارها ليست لأحد سواي وتحضرني ذكريات البداوة الأولى وشراكتنا في الجملة الحياتية التي تنتظر الزمن كي نعبر بها إلى الخاتمة الأزلية .

وكنت ملقىً على أرض الدهشة محاولا قراءة جملة بصرية لعيني من جمال لورا الذي كان ..أخاذاً

عجيباً ..!

غامضاً.. وشديد الوضوح ..

في تلك الليلة كان ......!

راسماً أملاً جديداً شديد الخصوصية مع كل خطوة كنا نخطوها بثيابنا البيضاء جداً .. معاً كي نعبر عتبة الزمن والحقيقة ، ليس مغفلاً ذلك الجمال الرباني الذي كانت ذراع صاحبته تطوق ذراعي باتجاه عالمنا السعيد والنسوة من حولنا مخضبات بالكحل والحناء على إيقاع الدفوف لنثرثر على ضفاف ....الحلم ....

انتهت

كمال مناع عيسى

اطرابلس شتاء ٢٠١٦م